الأمانة العامة
للعتبة الحسينية المقدسة

مهرجان تراتيل سجادية العاشر

الإمام زين العابدين عليه السلام
الشخصية الأخلاقية الكاملة

الدكتور عبدالله أحمد اليوسف

دار الوارث للطباعة والنشر

عنوان الكتاب : الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ الشخصية الأخلاقية الكاملة

إعـداد : الدكتور عبدالله أحمد اليوسف

الناشر : الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة - مهرجان تراتيل سجادية العاشر

الإشراف والتنسيق والمتابعة : السيد جمال الدين الشهرستاني

المطبعة : دار الوارث للطباعة والنشر

الطباعة : الأولى

سنة النـشر : ٢٠٢٤م - ١٤٤٦هـ

عدد الصفحات : ١٢٨

محفوظة جميع الحقوق

دار الوارث للطباعة والنشر
DARALWARITH Printing & Publishing

العراق - كربلاء المقدسة
المكتب الرئيسي: سيف سعد خلف المخارن الغذائية
٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٤ - ٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

بالله نستعين وعليه نتوكل

الحمد لله الذي خلق فسوّى، وقدّر فهدى، وعلم بالقلم، علّم الإنسانَ ما لم يعلمْ، والصّلاة، والسّلامُ على خير من مشى على الأرض، وسيّد الأنام أبي القاسم محمّد، وعلى آله البدور التِّمام....

وبعدُ...

فبفضلِ الله عزّ وجلّ، ومنّهِ وصلْنا إلى النُّسخةِ العاشرة من مهرجان(تراتيل سجّاديّة) المخصّص في سيرة، الإمام السّجّاد، وحياته، وتراثه، ولكلّ سنةٍ شعارٌ، ومشاركون جددٌ، ومطبوعاتٌ جديدة، وباحثون يقدّمون بحوثَهم على قاعات الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة إنّ قيمة الصحيفة السجّاديّة(زبور آل محمّد) واضحةٌ في أعداد الشروح التي تناولتْها، والأعلام الذين اشتغلوا بها، وعليها، والصّحيفة هي من نتاج حياة الإمام عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ(عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ؛ فكان التّركيز من قبل علمائنا، وكتّابنا، و أدبائنا على هذا الإرث الثريّ بالتّقوى، والعلم، والأدب، والهداية.

إنّ ما يثير الدهشة، والانتباه وفي لقاءاتنا مع المفكّرين، وعلماء الأديان الأخرى، ولا سيّما المسيحيّون وجدتُ لديهم الاهتمامَ الكبيرَ بالصّحيفة السجاديّة، والمناجاة الخمس عشرة، ورسالة الحقوق للإمام زين العابدين(عَلَيْهِ السَّلَامُ).

ونحن نقدّم لكم هذ الكتاب مشاركةً، ودعمًا لمكتبة الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين(عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) علمًا أنّ الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة، وبتكليفها إدارة المهرجان لاستقبال كلّ ما يصدر من جديدٍ في الإمام زين العابدين السجّاد(عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وطوال العام.

السيد جمال الدين الشهرستاني
رئيس اللجنة التحضيرية
لمهرجان تراتيل سجادية

من دعاء مكارم الأخلاق
للإمام زين العابدين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَاكفِني ما يَشغَلُني الاهتِمامُ بِهِ، وَاستَعمِلني بِما تَسأَلُني غَداً عَنهُ، وَاستَفرِغ أَيّامي فيما خَلَقتَني لَهُ، وأَغنِني وأَوسِع عَلَيَّ في رِزقِكَ، ولا تَفتِنّي بِالنَّظَرِ، وأَعِزَّني ولا تَبتَلِيَنّي بِالكِبرِ، وعَبِّدني لَكَ ولا تُفسِد عِبادَتي بِالعُجبِ، وأَجرِ لِلنّاسِ عَلى يَدَيَّ الخَيرَ، ولا تَمحَقهُ بِالمَنِّ، وهَب لي مَعالِيَ الأَخلاقِ، وَاعصِمني مِنَ الفَخرِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، ولا تَرفَعني فِي النّاسِ دَرَجَةً إلّا حَطَطتَني عِندَ نَفسي مِثلَها، ولا تُحدِث لي عِزًّا ظاهِرًا إلّا أَحدَثتَ لي ذِلَّةً باطِنَةً عِندَ نَفسي بِقَدَرِها».

المقدمة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الأخيار، وبعد:

تُعبِّر الأخلاق عن القيم والمبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، والتعامل الحسن بين الناس فيما بينهم، والالتزام العملي والسلوكي بمكارم الأخلاق وفضائلها؛ واجتناب مساوئ الأخلاق ورذائلها.

والأخلاق قيم ومبادئ وثقافة وسلوك، والحاجة إليها مستمرة ودائمة؛ لأنها ترتبط بتزكية النفس، وتهذيب الروح، وإصلاح الذات، وتعديل السلوك، وتربية الشخصية على الأخلاق الفاضلة.

ولأن الأخلاق تلامس أبعاد شخصية الإنسان المعنوية والعقلية والنفسية والمادية، ولذا فهي تُظهر كينونته الإنسانية، وتُبرز شخصيته الذاتية، وما تحتويه من عقل وعاطفة وإرادة وفكر ووعي وفهم وبصيرة.

ولا يقتصر تأثير الأخلاق الحسنة على الأفراد، بل يشمل المجتمع كله؛ لأنها تشكل بمجموعها الضابط لتنظيم سلوك المجتمع، وإدارته بصورة حضارية متقدمة؛ فالأخلاق الفاضلة عنوان للتقدم الحضاري، ورمز للوعي الإنساني؛ فلو غابت الأخلاق الحسنة عن المجتمع فسرعان ما تسود فيه شريعة الغاب، ويفقد أهم مكونات تنظيمه للسلوك الإنساني النبيل.

ويكفي في بيان محورية الأخلاق وأهميتها أن رسول الله ﷺ اعتبر أن الهدف من بعثته ورسالته هو نشر مكارم الأخلاق وفضائلها، وترسيخها كقيم وسلوك وثقافة عند الأفراد، وفي المجتمع؛ لأن الأخلاق الحسنة هي الركيزة الرئيسة لبناء مجتمع راشد، وتشييد حضارة إنسانية راقية، وأما شيوع

الأخلاق السيئة وانتشارها فهي من أهم الأسباب الموجبة لسقوط المجتمعات ونهاية الحضارات الإنسانية.

والمجتمع -وخصوصًا في هذا العصر الذي طغت فيه المادية على كل شيء- أحوج ما يكون للتمسك بالأخلاق الحسنة، ومكارم الأخلاق ومحاسنها، والتخلي عن الأخلاق السيئة، وعن الأخلاق التجارية والمصلحية الفاسدة التي بدأت تؤثر تدريجيًا في قوة المجتمع الإسلامي وتماسكه.

ومن أجل تنمية الوعي الأخلاقي في عقولنا وتفكيرنا، وإصلاح واقعنا الأخلاقي، وتعديل سلوكنا وتصرفاتنا وتعاملنا مع من حولنا وفق المنظومة الأخلاقية في الإسلام، نحن بحاجة للاقتداء بأهل الكمال الأخلاقي والتميز في سيرتهم الأخلاقية الراقية، ويأتي في طليعتهم الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) الذي سار على نهج جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي مدحه القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[1].

لقد جسَّد الإمام زين العابدين (عليه السلام) في سيرته الأخلاقية الرائعة أخلاق الإسلام أجمل تجسيد، وطبَّق قيم الأخلاق أحسن تطبيق، وأعطى صورة مشرقة بسلوكه الأخلاقي وتعامله الإنساني الراقي مع مختلف طبقات المجتمع وفئاته؛ ولذا فهو مصدر إلهام للباحثين عن الكمال الأخلاقي، ورمز للاقتداء لكل من يبحث عن الارتقاء في سلوكه الأخلاقي، ودليل للتأسي لكل من يريد التربع على عرش الإنسانية النبيلة.

ويهدف هذا الكتاب الموجز إلى إبراز السيرة الأخلاقية والإنسانية للإمام زين العابدين وسيد الساجدين (عليه السلام) الذي كان مدرسة متميزة في عالم الأخلاق والسلوك الإنساني القويم، كي يكون محفزًا لنا كأفراد وجماعات ومجتمعات

---

١ سورة القلم: ٤.

للاقتـداء والتأسي بسـيرته الأخلاقية الوضاءة.

وتناولـتُ في هذا الكتـاب جوانب متعددة من أخلاقيـات الإمام زين العابدين عليه السلام ونهجـه الإنسـاني الـذي قلَّ نظـيره، وهي:

١. أخلاقياته عليه السلام في التعامل مع المسيئين له.

٢. أخلاقياته عليه السلام أمام الخطوب والمحن.

٣. أخلاقياته عليه السلام في العمل التطوعي.

٤. أخلاقياته عليه السلام مع العلماء والمتعلمين.

٥. أخلاقياته عليه السلام مع العبيد.

٦. أخلاقياته عليه السلام مع أعدائه.

٧. دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق.

وختمنـا هـذا الكتاب بذكر كوكبة من حِكَمه الأخلاقيـة القصيرة؛ لما فيها من إرشـادات تربويـة قيمة، ووصايا أخلاقية مهمة، وبيـان لبعض فضائل الأخلاق ومكارمها والحث على التحلي بها، والنهي عن رذائل الأخلاق وضرورة اجتنابها.

وختامًـا .. أبتهـلُ إلى اللـه عـزَّ وجـلَّ أن يجعـل هـذا الكتـاب في كتابي، وأن يثقـل بـه ميزان أعمـالي، وأن ينفعني به في آخرتي ﴿يَـوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُـونَ ۝٨٨ إِلَّا مَـنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَـلِيمٍ ۝٨٩﴾[1].

إنـه - تبـارك وتعـالى - محـطُّ الرجـاءِ، وغايـةُ الأمـلِ، وينبـوعُ الرحمـةِ والفيـض والعطاء.

١ الشعراء: ٨٨-٨٩.

والله المستعان

عبد الله أحمد اليوسف

القطيف

الاثنين غرة شعبان ١٤٤٥هـ

١٢ فبراير ٢٠٢٤م

أخلاقياته عليه السلام في التعامل مع المسيئين له

تتفاوت طبيعة البشر في ردَّات أفعالهم ونوعية تصرفاتهم تجاه ما يحدث أمامهم من أمور في الحياة، وما يلاقونه من المحيطين بهم من أقوال وأفعال وتصرفات؛ فالناس أنواع وأصناف، وطبائع وأمزجة مختلفة، وعقول متفاوتة، وشخصيات متنوعة.

ولذلك يمكن تصنيف الناس -من هذه الجهة- إلى ثلاثة أصناف رئيسة، وهم:

١. **اللا أباليون:** وهم الذين يتجاهلون كل شيء، ولا يعيرون أدنى اهتمام لأي أمر، ولا يعنيهم ما قبل فيهم وعنهم.
٢. **الحساسون:** وهم أصحاب الحساسية المفرطة، والإحساس المرهف، وهم الذين يتأثرون بكل شيء، وينزعجون من كل أمر، ويتذمرون من كل قول وفعل بسرعة وانفعال وتأثر.
٣. **الواقعيون:** وهم الذين يعيرون اهتمامًا للأمور التي تستحق العناية والاهتمام، ويتجاهلون ويتغافلون عن صغائر الأمور وسفاسفها.

وإذا كانت اللا أبالية سلوكًا غير صحيح، فإن الحساسية المفرطة كذلك، والمطلوب أن يكون الإنسان واقعيًّا في نظرته للأمور والأشياء، وفي تعامله مع الناس، فنحن نتعامل مع بشر تصيب وتخطئ وليس مع ملائكة أو معصومين عن الخطأ.

والإنسان حتى يعيش حياة هانئة ومريحة وسعيدة في حياته عليه إتقان (فن التغافل)، وهو تعمد الغفلة عن قصد، فمع علمه بالشيء يتظاهر بعدم العلم والمعرفة، وذلك من أجل أن تسير الحياة بهدوء وهناء وسلام.

والتعامل مع المسيئين من الجهَّال والحمقى بحاجة إلى حلم وكظم للغيظ

وإتقـان فـن التغافـل حتـى يحافـظ المـرء على هـدوء أعصابـه، والحفـاظ على توازنـه، وحتـى لا ينجـر إلى مسـتواهم الهابـط، وسـلوكهم الخاطـئ.

الحلم من صفات الأنبياء والأئمة

الحلـم صفـة أخلاقية نبيلـة، وسـجية فاضلة، وفضيلـة إنسـانية رفيعة، وهو دلالـة عـلى نضج العقـل، ووقار الشـخصية ورزانتهـا، وهو يرفـع صاحبه إلى أسـمى الدرجات، وأعلى مراتـب الكمالات المعنويـة والأخلاقية.

والحلـم صفة بارزة من صفات الأنبياء والرسـل والأئمـة الأطهار والأولياء والصالحـين وغيرهـم مـن الرجال العظـام الذين ارتقـوا أعلى درجـات الكمال، وبلغـوا مراتب متقدمة في السـؤدد والـشرف والمجد والفضل.

وذكـر الحلـم في القـرآن الكريم نحو عشرين مرة في سـور متعـددة؛ ما يدل عـلى أهميتـه ومكانته في المنظومة الأخلاقية، ومدح الله تعالى الحلماء والكاظمين الغيـظ، وأثنى عليهـم كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[1] وقولـه تعـالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[2].

تعريف الحلم

عـرَّف الراغـب الأصفهانـي الحلـم بأنـه «ضبـط النفـس والطبع عنـد هيجان الغضب»[3].

وهـو القـدرة على كظم الغيـظ، وضبط الانفعـالات، وكسر شـوكة الغضب، والسـيطرة على النفس عنـد مثيرات الهيجـان والتوتر النفسي.

---

١ سورة آل عمران: ١٣٤.

٢ سورة الفرقان: ٦٣.

٣ المفـردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ص١٣٦.

فالحلم إذًا هو ضبط النفس وحبسها عن الانفعالات تجاه مسببات ومثيرات الغضب، والتحكم الإيجابي في الانفعالات الناتجة عن حالة الغضب والهيجان والتوتر النفسي والعصبي.

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يبدي إعجابه بالإنسان الحليم، لما روي عنه أنه قال: «إنّهُ لَيُعْجِبُني الرّجُلُ أنْ يُدرِكَهُ حِلمُهُ عِندَ غَضَبِهِ»[1]؛ لأنه بالحلم نسيطر على الغضب، والحليم إنما يعرف عند موجبات الغضب والاستفزاز.

واعتبر الإمام زين العابدين عليه السلام أن الحلم عند الغضب من علامات المؤمن، فقال: «عَلاماتُ المؤمنِ خَمسٌ: الوَرعُ في الخَلوةِ، والصَّدقةُ في القِلَّةِ، والصَّبرُ عند المصيبةِ، والحِلْمُ عند الغضبِ، والصِّدقُ عند الخوفِ»[2].

والحلم من كمال الدين، لما روي عنه عليه السلام أنه قال: «إنَّ المعرفةَ بكمالِ دِينِ المسلمِ: تَرْكُهُ الكَلامَ فيما لا يَعْنيهِ، وقِلّةُ المِراءِ، وحِلمُهُ، وصَبرُهُ، وحُسنُ خُلقِه»[3].

وعلى المؤمن سواء أكان عالمًا أم متعلمًا أن يتزيَّن بالحلم، لما روي عنه عليه السلام أنه قال: «المؤمنُ خلَطَ علمَهُ بالحِلْمِ، يجلِسُ لِيَعْلمَ، ويَنْصِتُ لِيَسْلمَ، ويَنْطِقُ لِ يَفْهمَ، لا يُحَدِّثُ أمانَتهُ الأصدقاءَ»[4].

وأما من لا حلم عنده؛ فإن أقل شيء يثير غضبه وهيجانه؛ ما يولِّد عنده حالات من الانفعالات غير المنضبطة والتصرفات غير اللائقة، والتي قد يندم على فعلها عندما يهدأ غضبه ويعود إلى رشده فيكتشف خطأ أفعاله وسوء تصرفاته وقبح أفعاله.

التغافل أعظم أنواع الحلم

١ الكافي: ٢/ ١١٢/ ٣.
٢ بحار الأنوار: ٦٤/ ٢٩٣/ ١٥.
٣ بحار الأنوار: ٢/ ١٢٩/ ١١.
٤ بحار الأنوار: ٦٤/ ٢٩١/ ١٤.

يعد التغافل من أعظم أنواع الحلم، لما روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «لا حِلمَ كالتَّغافُلِ»[1]، وأن التجاهل يدل على نضج العقل ورجاحته، وأشار الإمام عليه السلام إلى ذلك بقوله: «لا عَقلَ كالتَّجاهُلِ»[2].

وأوصى أمير المؤمنين عليه السلام بالتغافل عن الجهَّال والحمقى قائلاً: «تَغافَل يُحمَد أمرُكَ»[3]، وعنه عليه السلام : «أشرَفُ خِصالِ الكَرَمِ غَفلَتُكَ عمّا تَعلَمُ»[4]، وروي عن الإمام الباقر عليه السلام : «صَلاحُ شَأنِ الناسِ التَّعايُشُ والتَّعاشُرُ مِلْءَ مِكيالٍ: ثُلُثاهُ فِطَنٌ، وثلثٌ تَغافُلٌ»[5]، وعن الإمام الصَّادق عليه السلام : «صَلاحُ حالِ التَّعايُشِ والتَّعاشُرِ مِلْءُ مِكيالٍ: ثُلثاهُ فِطنَةٌ وثُلثُهُ تغافُلٌ»[6].

إن على الإنسان الذي يروم الحياة السعيدة والهانئة والناجحة أن يتقن فنيات التغافل، ويتجاهل الأمور التافهة، ولا يدقق في كل شاردة وواردة، ولا يشغل باله بكل قول لم يعجبه، أو كلمه نقد قيلت بحقه، أو موقف أزعجه حتى يعيش بسعادة وسكينة وراحة بال واطمئنان نفسي.

صور مشرقة من حلمه وتغافله عليه السلام

من أعظم الصفات البارزة في شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام شدة الحلم، والتغافل عن المسيئين، فقد كان عليه السلام عظيم الحلم، كثير التغافل، يقابل الإساءة بالحلم، والسيئة بالحسنة، والإهانة بالعفو، والكلام الفظ بكلام لطيف، والاستفزاز بالتغافل، والحمق بالتجاهل.

وسجَّلت لنا كتب الحديث والسيرة والتاريخ صورًا مشرقة من مكارم

---

١ غرر الحكم: ١٠٥٠٢.

٢ غرر الحكم: ١٠٥٠٣.

٣ غرر الحكم: ٤٥٧٠.

٤ الدعوات: ٢٩٣/ ٤١.

٥ بحار الأنوار: ج٧١، ص ١٦٧، ح ٣٤.

٦ تحف العقول: ص ٣٥٩.

أخلاقـه، ونـوادر حلمـه وتغافله عن المسـيئين له، نذكـر منها:

أولًا- وعنك أغضي

مـن أعظـم أنواع الحلـم: التغافل، ويراد بـه تعمد الغفلة عن قصـد، فمع علمه بالـشيء يتظاهـر بعـدم العلم والمعرفة، فقد روي عن أمـير المؤمنين عليه السلام قوله: «أشرَفُ أخـلاقِ الكريـمِ تَغافُلُهُ عمّـا يَعلَمُ»[1].

وهذا ما فعله الإمام زين العابدين عليه السلام مع أحد المسـيئين له، فمع علمه بتعمد إسـاءته لـه لكنه تغافل عنه، فقـد روي: اسْـتَطَالَ رَجُلٌ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَـيْنِ عليه السلام فَتَغَافَـلَ عَنْهُ.

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: إِيَّاكَ أَعْنِي!

فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام : «وَعَنْكَ أَغْضِي!»[2].

وفي موقـف آخـر من صـور التغافل عند الإمام عليه السلام يختار عـدم الرد على أحد المسـيئين إليـه، فقد روي: قَالَ رَجُلٌ لِرَجُلٍ مِنْ آلِ الزُّبَـيْرِ كَلَامًا أَقْذَعَ فِيهِ[3] فَأَعْرَضَ الزُّبَيْرِيُّ عَنْهُ، ثُمَّ دَارَ الْكَلَامُ فَسَبَّ الزُّبَيْرِيُّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ يُجِبْهُ، فَقَالَ لَهُ الزُّبَيْرِيُّ: مَا يَمْنَعُكَ مِنْ جَوَابِي؟ قَالَ عليه السلام : «مَا يَمْنَعُكَ مِنْجَوَابِ الرَّجُلِ»[4].

وفي هذين الموقفين من الإمام زين العابدين عليه السلام درس مهم في أهمية التغافل عـن المسـيئين والجاهلين؛ لأن هذا يـؤدي إلى العيش براحة واطمئنان وسـعادة،

١-غرر الحكم: ٣٢٥٦.

٢-كشـف الغمـة في معرفـة الأئمـة: ج٢، ص: ١٠١. المناقب: ابن شهرآشـوب ج ٣ ص ٢٩٦. بحـار الأنـوار: ج٤٦، ص: ٩٦. تاريـخ مدينة دمشـق: ابن عسـاكر، ج ٤١، ص ٣٩٥. تهذيب الكمـال: المـزي، ج ٢، ص ٣٩٨. التذكرة الحمدونية: ابن حمدون، ج ٢، ص ١٢٣، رقم ٢٤٩. الصواعـق المحرقة: ابن حجر الهيتمي، ص ٢٤٨.

٣-أقذعه: شتمه ورماه بالفحش وسوء القول.

٤ كشـف الغمـة في معرفـة الأئمة: (ط - القديمـة)، ج٢، ص: ١٠٨. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٠١. التذكـرة الحمدونية: ابن حمدون، ج ٢، ص ١٢٣، رقم ٢٤٨.

ولـذا روي عـن أمير المؤمنين عليه السلام قولـه: «تَغافَل يُحمَـد أمرُكَ»[1].

وأما الإنسـان الذي يهتم بكل شـاردة وواردة، ويدقق في كل شيء، ويشـغل بالـه بـكل قول لم يعجبه، أو كلمه نقد قيلت بحقه، أو موقف أزعجه؛ فإن حياته تتحـول إلى نكـد وشـقاء وتعاسـة وتعـب. روي عـن أمـير المؤمنـين عليه السلام أنه قـال: «مَـن لَم يَتَغافَلْ ولا يَغُضَّ عَن كَثيرٍ مِنَ الأُمورِ تَنَغَّصَت عِيشَـتُهُ»[2]، وحتى لا تتنغـص حياتـك تعامل مع من حولـك بتغافل في الأمور البسـيطة والصغيرة والتافهـة، والاهتمام بالأمور الكبـيرة والقضايا الهامة.

ثانيًا- مَا سُترَ عَنْكَ مِنْ أَمْرِنَا أَكْثَرُ

كان الإمام زين العابدين عليه السلام في غاية الحلم والتحمل في التعامل مع المسـيئين له، وقد جسَّـد ذلك عملياً في حياته وسـيرته المباركة في عدة مواقف، ومنها هذه القصة التي تكشف عن شدة حلمه:

كَانَ عَـلِّيِ بْـنُ الْحُسَـيْنِ عليه السلام خَارِجًا مِنَ الْمَسْـجِدِ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَسَـبَّهُ، فَثَارَتْ إِلَيْهِ الْعَبِيدُ وَ الْمَوَالِي، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَـيْنِ: مَهْلًا عَنِ الرَّجُلِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «مَا سُترَ عَنْكَ مِنْ أَمْرِنَا أَكْثَرُ!».

وأضاف قائلاً: «أَلَكَ حَاجَةٌ نُعِينُكَ عَلَيْهَا؟».

فَاسْـتَحْيَا الرَّجُلُ، وَرَجَعَ إِلَى نَفْسِـهِ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ خَمِيصَةً[3] كَانَتْ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ.

قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ أَوْلَادِ الرُّسُلِ[4].

فهـذا التغافـل عن الإسـاءة، والإحسـان إلى المسيء قد أثَّـر في الرجل، وجعله

---

١ غرر الحكم: ٤٥٧٠.

٢ غرر الحكم: ٩١٤٩.

٣ الخميصة: كساء أسود مربع له علمان.

٤ كشف الغمة في معرفة الأئمة: ج٢، ص: ١٠١. بحار الأنوار: ج٤٦، ص: ٩٩، ح ٨٧.

يُقر بأن هذه الأخلاق لا تصدر إلا عن أولاد الأنبياء؛ كالإمام زين العابدين عليه السلام . وعلى العاقل الحصيف أن يتعلم من سيرة الإمام عليه السلام بأن يتحمل أخطاء الآخرين وسوء أفعالهم وزلاتهم، ويتغافل عما قد يصدر عنهم من سفاسف الأمور وتوافهها، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: «إنّ العاقِلَ نِصفُهُ احتِمالٌ، ونِصفُهُ تَغافُلٌ»[1].

ثالثًا- انْتَزَعَ رِدَاءَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ

روى الشيخ الصدوق بإسناده: عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عبدالله عليه السلام قَالَ: كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ بَطَّالٌ يَضْحَكُ النَّاسُ مِنْهُ، فَقَالَ: قَدْ أَعْيَانِي هَذَا الرَّجُلُ أَنْ أُضْحِكَهُ -يَعْنِي عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ.

قَالَ: فَمَرَّ عَلِيٌّ عليه السلام وَخَلْفَهُ مَوْلَيَانِ لَهُ، قَالَ: فَجَاءَ الرَّجُلُ حَتَّى انْتَزَعَ رِدَاءَهُ مِنْ رَقَبَتِهِ ثُمَّ مَضَى، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عليه السلام ، فَاتَّبَعُوهُ وَأَخَذُوا الرِّدَاءَ مِنْهُ فَجَاءُوا بِهِ فَطَرَحُوهُ عَلَيْهِ.

فَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ هَذَا؟».

فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ بَطَّالٌ يُضْحِكُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ.

فَقَالَ: «قُولُوا لَهُ: إِنَّ لِلَّهِ يَوْمًا يَخْسَرُ فِيهِ الْمُبْطِلُونَ»[2].

فالإمام لم يلتفت إليه، وتغافل عن تصرفه غير اللائق، ومضى في طريقه متجاهلًا تصرفات هذا البطَّال الجاهل، ولم ينفعل أو يغضب، بل تغافله وتجاهله، وروي عن رسول اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «أحلَمُ النّاسِ مَن فَرَّ مِن جُهّالِ النّاسِ»[3].

---

١ غرر الحكم: ٢٣٧٨.

٢ الأمالي للصدوق: ص ٢٢٠. المناقب: ابن شهرآشوب، ج٤، ص: ١٥٨. بحار الأنوار: ج٤٦، ص: ٦٨، ح ٣٩.

٣ الأمالي للصدوق: ٧٣/ ٤١.

ولمّا سُئلَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام : عن أحلَمِ النّاسِ؟

قال عليه السلام : «الّذي لا يَغْضَبُ»[1].

وحتى يكون الإنسان حليمًا وقادرًا على التحكم في أعصابه يحتاج إلى ترويض نفسه على التحلم حتى تتحول صفة الحلم إلى ملكة عنده، فلا يغضب لأتفه الأمور، ولا يفقد السيطرة على أعصابه عند أبسط القضايا، بل يكون إنسانًا وقورًا ومتزنًا وحليمًا.

رابعًا-لَا أُبَالِي بِمَا تَقُولُ

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يمشي في الطريق، فإذا برجل لئيم يشتمه ويسبه من غير سبب، فقال له الإمام بكل لطف ورفق: «يَا فَتَى، إِنَّ بَيْنَ أَيْدِينَا عَقَبَةً كَؤُودًا، فَإِنْ جُزْتُ مِنْهَا فَلَا أُبَالِي بِمَا تَقُولُ، وَإِنْ أَتَحَيَّرُ فِيهَا فَأَنَا شَرٌّ مِمَّا تَقُولُ»[2].

فالإمام عليه السلام تعامل مع هذا الفتى الذي أساء إلى الإمام بكل حلم ورفق ولين، فلم يغضب منه ولم يعاقبه، بل أرشده ووجهه إلى أهمية التفكير في الآخرة، وأن أمام الإنسان الكثير من العقبات الصعبة في يوم الحساب، فمن يجتازها فهو في خير، وعليه ألَّا يبالي بما يلاقيه في الدنيا، ومن لا يجتازها فهو في خسران مبين .

خامسًا- اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ

في موقف إنساني نبيل وحلم عجيب، جارية كانت تسكب الماء على يدي الإمام، فسقط الإبريق من يدها على وجهه الشريف فشجه، لكن الإمام عليه السلام تعامل معها برفق وحلم وصفح وتسامح، فلم يعاقبها، بل عفا عنها وأحسن إليها وأعتقها لوجه الله تعالى.

---

١ الأمالي للصدوق: ٤٧٨/ ٦٤٤.

٢ المناقب: ابن شهرآشوب ج ٣ ص ٢٩٦. بحار الأنوار: ج٤٦، ص: ٩٦.

روى الصدوق بإسناده: عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ عبدالله بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّزَّاقِ يَقُولُ: جَعَلَتْ جَارِيَةٌ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام تَسْكُبُ الْمَاءَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، فَسَقَطَ الْإِبْرِيقُ مِنْ يَدِ الْجَارِيَةِ عَلَى وَجْهِهِ فَشَجَّهُ[1]، فَرَفَعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام رَأْسَهُ إِلَيْهَا، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عِمْرَان : ١٣٤] [2].

فَقَالَ لَهَا: «قَدْ كَظَمْتُ غَيْظِي».

قَالَتْ: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ .

قَالَ لَهَا: «قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْك».

قَالَتْ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ .

قَالَ: «اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ»[3].

لقد تعامل الإمام مع هذه الجارية بكل إنسانية ورحمة ورفق وحلم، فلم يعاقبها نتيجة ما سببته من شج رأسه الشريف؛ بل كظم غيظه، وأحسن إليها وأعتقها، وهو القائل عليه السلام : «ما تَجَرَّعتُ جُرعَةً أحَبَّ إلَيَّ مِن جُرعَةِ غَيظٍ لا أُكافِي بها صاحِبَها»[4].

سادسًا- كَسَرَتْ قَصْعَةً فأعتقها لِوَجْهِ اللَّهِ

تعامل الإمام زين العابدين عليه السلام بإنسانية قلَّ نظيرها مع جواريه وخدمه ومواليه، وكان يعفو ويصفح ويحسن لمن أخطأ منهم سواء كان ذلك عن عمد أم لا، فقد روي: "كَسَرَتْ جَارِيَةٌ لَهُ قَصْعَةً فِيهَا طَعَامٌ فَاصْفَرَّ وَجْهُهَا!"

---

١ الشجاج: الجراح، وشجَّه جرحه.

٢ آل عمران: ١٣٤.

٣ الأمالي للصدوق: ص ٢٠١. المناقب: ابن شهرآشوب، ج٤، ص: ١٥٧. بحار الأنوار: ج٤٦، ص: ٦٧، ح ٣٦.

٤ الكافي: ٢/ ١٠٩/ ١.

واصفرار الوجه ناتج من خوف العقاب لأنها توقعت أن يعاقبها الإمام على فعلتها، ولكن الإمام عليه السلام قال لها بكل لطف ورحمة: «اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللَّهِ»[1].

وبهذا الخُلُق الإنساني النبيل، والخلّة الحميدة، نال الإمام عليه السلام محبة أعدائه - فضلاً عن مواليه وجواريه- وكسب قلوبهم، فبالحلم والتحمل والإحسان إلى المسيئين يمكن التأثير الإيجابي حتى على أصحاب القلوب القاسية.

درس من سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام

إن أهم درس يجب أن نتعلمه في حياتنا من سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام في تعامله مع المسيئين له هو الاتصاف بالحلم، والتغافل عن الجهَّال والحمقى وأضرابهم، وتجنب الغضب وسرعة الانفعال؛ فالإنسان يعيش مع بشر مثله، والبشر بطبيعتهم يصدر منهم الصواب والخطأ، الحق والباطل، الصحيح وغير الصحيح، وعلى الإنسان العاقل أن يتغافل -بقدر جيد- عن كثير من أخطاء الناس وتصرفاتهم غير الصحيحة سواء كان في المحيط العائلي، أو مع زملاء العمل، أو مع الأصدقاء، أو مع سائر الناس.

إن إحدى أهم أسرار النجاح في الحياة الخاصة والعامة هو إتقان فنيات التغافل وأبجديات التجاهل، تطبيقًا لما قاله أمير المؤمنين عليه السلام : «إنَّ العاقِلَ نِصفُهُ احتِمالٌ، ونِصفُهُ تَغافُلٌ»[2]، وقوله عليه السلام : «أشرَفُ أخلاقِ الكريمِ تَغافُلُهُ عمَّا يَعلَمُ»[3].

أما الحساسية المفرطة تجاه كل شيء فسبب مهم من أسباب الفشل والتعاسة في الحياة، فالعلاقة الزوجية – مثلاً- التي ترتكز على الحساسية المفرطة، والتدقيق في كل شيء، وعلى الاهتمام بكل شيء، وبصغائر الأمور

---

١ مناقب آل أبي طالب (عليهم السلام): ابن شهرآشوب، ج٤، ص: ١٥٨.

٢ غرر الحكم: ٢٣٧٨.

٣ غرر الحكم: ٣٢٥٦.

وسفاسفها تفشل وتنتهي، وكذلك يخسر الإنسان أصدقاءه وزملاءه في الدراسة أو العمل إذا كان يتعامل معهم بنفس الطريقة والمنهج والأسلوب.

وحتى ننجح في حياتنا الخاصة والعامة علينا أن نتسامح عن الأخطاء الصغيرة، ونعفو ونصفح، ونتغافل عن توافه الأمور وصغائرها، ونتجاهل التصرفات الخاطئة البسيطة، ونهتم بمعالي الأمور ومكارمها.

وهذه الصفة الأخلاقية الجميلة التي يحث عليها الإسلام (التغافل) وطبقها الإمام زين العابدين عليه السلام أحسن تطبيق في تعامله مع الجهَّال والحمقى، يجب أن ننميها في شخصياتنا، فالشخصيات القوية والعظيمة هي التي تهتم بالأهداف الكبيرة، وتتغافل وتتجاهل الصغائر والتوافه والسفاسف، أما العقول الصغيرة فهي التي لا تهتم إلا بتوافه الأمور وصغائرها.

وعلينا أن نروِّض أنفسنا ونهذِّبها حتى تتروض على التحلي بالحلم والتحلم، والاتصاف بصفة التغافل عن الأمور البسيطة والتافهة، ونتصف بضبط النفس وهدوء الأعصاب في التعامل مع المسيئين والمخطئين كما كان يفعل الإمام زين العابدين عليه السلام .

أخلاقياته عليه السلام أمام الخطوب والمحن

استفاضت النصوص الدينية في الحث والترغيب على التحلي بفضيلة الصبر، والتأسي بالصابرين، وعلى مدح الصبر والثناء على الصابرين؛ فالصبر هو مجمع الفضائل، ورأس المكارم، وعماد المحاسن والمفاخر والمآثر؛ فما من فضيلة أو مفخرة أو مأثرة إلا والصبر طرف فيها.

ويكفي في فضل الصبر وجلالة الصابرين أن الله سبحانه وتعالى أشاد بهما في نيف وسبعين آية في القرآن الكريم، ومن أعظم أقسام الصبر هو الصبر على المكاره والنوائب والخطوب، وخير ما يفعله المبتلى بمكروه أو رزية أو محنة هو التحلي بفضيلة الصبر والتأسي والاقتداء بالصابرين!

وقد بشّر الله تعالى الصابرين بالحب والرحمة والرضا، كما في قوله تعالى: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}[1] وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾[2].

ووعدهم بالنصر والتأييد كما في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾[3]، وأعدَّ لهم الأجر والثواب بغير حساب، وجعل جزاء كل فضيلة أخلاقية بحساب إلا الصبر كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾[4].

وكثيرة هي الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام التي تحض على التحلي بفضيلة الصبر، والتأسي بالمؤمنين الصابرين، وما للصابر من أجر وثواب عظيم، فقد روي عن عَلِيٍّ عليه السلام ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله : «الصَّبْرُ ثَلَاثَةٌ: صَبْرٌ عِنْدَ[5]

---

١ سورة آل عمران: ١٤٦.

٢ سورة البقرة: ١٥٥.

٣ سورة الأنفال: ٤٦.

٤ سورة الزمر: ١٠.

٥ في البحار: «على».

الْمُصِيبَةِ، وَصَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَصَبْرٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمُصِيبَةِ حَتّى يَرُدَّهَا بِحُسْنِ عَزَائِهَا، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ثَلَاثَ مِئَةِ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَمَنْ صَبَرَ عَلَى الطَّاعَةِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ سِتَّ مِئَةِ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ تُخُومِ[1] الْأَرْضِ إِلَى الْعَرْشِ، وَمَنْ صَبَرَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ تِسْعَ مِئَةِ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ تُخُومِ الْأَرْضِ إِلى مُنْتَهَى الْعَرْشِ»[2].

وَعَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: لِيَقُمْ أَهْلُ الْفَضْلِ، فَيَقُومُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا إِلَى الْجَنَّةِ، فَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ: إِلَى أَيْنَ؟ فَيَقُولُونَ: إِلَى الْجَنَّةِ، قَالُوا: قَبْلَ الْحِسَابِ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالُوا: وَمَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: أَهْلُ الْفَضْلِ، قَالُوا: وَمَا كَانَ فَضْلُكُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا إِذَا جُهِلَ عَلَيْنَا حَلُمْنَا وَإِذَا ظُلِمْنَا صَبَرْنَا وَإِذَا أُسِيءَ إِلَيْنَا غَفَرْنَا. قَالُوا: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ، ثُمَّ يَقُولُ مُنَادٍ يُنَادِي: لِيَقُمْ أَهْلُ الصَّبْرِ، فَيَقُومُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَيُقَالُ لَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ فَيَقُولُونَ: أَهْلُ الصَّبْرِ، قَالُوا: وَمَا كَانَ صَبْرُكُمْ؟ قَالُوا: صَبَّرْنَا أَنْفُسَنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَصَبَّرْنَاهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، قَالُوا: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ»[3].

---

١ «التَخْـم»: حدّ الأرض. والجمع: تُخُـوم. والتُّخوم: الفصل بين الأرضين. مجمع البحرين، ج ٦، ص ٢١ (تخم).

٢ الكافي: ج ٢، ص ٩١، ح ١٥. تحف العقول: ص ٢٠٦، عن عليّ عليه السلام ، من دون الإسـناد إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله). الوافي: ج ٤، ص ٣٣٦، ح ٢٠٦٠؛ الوسـائل: ج ١٥، ص ٢٣٧، ح ٢٠٣٧٣؛ بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٧٧، ح ١٢.

٣ كشف الغمة في معرفة الأئمة: (ط - القديمة)، ج٢، ص: ١٠٢.

وعـن منزلـة الصبر وموقعيتـه في الدين، روي عن عَـلِيِّ بْنِ الْحُسَـيْنِ عليهما السلام، قَالَ: «الصَّـبْرُ مِـنَ الْإِيمَـانِ بِمَنْزِلَـةِ الـرَّأْسِ مِـنَ الْجَسَـدِ، وَلَا إِيمَـانَ لِمَـنْ لَا صَـبْرَ لَـهُ»[1].

وأوصى الإمـام زيـن العابدين عليه السلام ابنه الإمام الباقر عليه السلام بضرورة التحلي بالصبر عـلى الحـق وإن كان مـرّاً، فقـد ورد عَنْ أَبِي حَمْـزَةَ، قَالَ: قَـالَ أَبُو جَعْفَـرٍ عليه السلام : «لَمَّا حَـضرَتْ أَبِـي عَلِيَّ بْنَ الْحُسَـيْنِ عليهما السلام الْوَفَـاةُ ضَمَّنِي إِلى صَـدْرِه، وَقَالَ: يَا بُنَـيَّ، أُوصِيكَ بِمَـا أَوْصَانِـي بِـهِ أَبِي حِـينَ حَضَرَتْـهُ الْوَفَـاةُ، وَبِمَـا ذَكَـرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَـاهُ بِهِ؛ يَـا بُنَيَّ، اصْـبِرْ عَلَى الْحَـقِّ وَإِنْ كَانَ مُـرّاً»[2].

والصـبر ضروري جـدًّا لمواجهة الخطوب والمحن والمـكاره، وإلا فإن المرء يعجز عن مواجهتهـا مـن دون التحلي به؛ ولذا أوصى الإمـام زين العابدين عليه السلام ابنه الإمام الباقر بالصبر على الحق وإن كان مرًّا، وبالصبر على النوائب وإن كانت صعبة، فقدروي عنه عليه السلام قولـه:: «يَـا بُنَيَّ اصْـبِرْ عَلَى النَّوَائِـبِ»[3]، لأن من لا يصبر عليها يعجز عن مواجهتها.

وضُرب المثـل بصـبر أيـوب لمـا ابتلي بـه من أمـراض ومحـن، ولكنـه صَبَرَ وتحمَّـل وشـكر اللـه سـبحانه وتعـالى حتى عـوفي مـن محنه ومرضـه، ويرى

---

١ الكافي: ج ٢، ص ٨٩، ح ٤. الخصال: ص ٣١٥، باب الخمسـة، ح ٩٥؛ عيون الأخبار: ج ٢، ص ٤٤، ح ١٥٥؛ صحيفـة الرضـا عليه السلام : ص ٨١، ح ١٧٧، بسـند آخر عن الرضا، عن آبائه، عن عليّ (عليهم السلام). تحف العقول: ص ٢٨١؛ الإرشـاد: ج ١، ص ٢٩٧، مرسـلاً عن عليّ عليه السلام ، نهـج البلاغـة: ص ٤٨٢، الحكمـة ٨٢؛ خصائـص الأئمّـة (عليهم السلام): ص ٩٤، عـن عليّ عليه السلام ، الـوافي: ج ٤، ص ٣٣٣، ح ٢٠٥٠؛ الوسـائل: ج ٣، ص ٢٥٨، ح ٣٥٧٢؛ البحـار: ج ٦٨، ص ٨١، ح ١٧.

٢ الكافي: ج ٢، ص ٩١، ح ١٣. الفقيه: ج ٤، ص ٤١٠، ح ٥٨٩١، الأمالي للصدوق: ص ١٨٢، المجلـس ٣٤، ح ١٠؛ الخصـال: ص ١٦، بـاب الواحد، ح ٥٩ الوافي: ج ٤، ص ٣٤٠، ح ٢٠٧٤؛ الوسـائل: ج ١٥، ص ٢٣٧، ح ٢٠٣٧٠؛ البحار: ج ٦٨، ص ٧٦، ح ١٠.

٣ بحار الأنوار: ج٤٦، ص: ٩٥.

الإمـام زيـن العابدين عليه السلام أن الناس أخذوا الصبر عن أيوب؛ فقد روى الشـيخ الصـدوق بإسـناده: عَـنِ الرِّضَـا عليه السلام عَـنْ آبَائِـهِ عليهم السلام قَـالَ: قَـالَ عَـلِيٌّ بْـنُ الْحُسَـيْنِ عليهما السلام: «أَخَـذُوا النَّـاسُ ثَلَاثَـةً مِـنْ ثَلَاثَـةٍ: أَخَـذُوا الصَّـبْرَ عَـنْ أَيُّـوبَ عليه السلام ، وَالشُّـكْرَ عَـنْ نُـوحٍ عليه السلام ، وَالْحَسَـدَ عَـنْ بَنِـي يَعْقُـوبَ عليه السلام »[1].

وكان الإمـامُ زيـنُ العابديـنَ عليه السلام يسـتعيذ باللـه تعالى مـن ضعف الصبر، فـكان مِـن دُعائـهِ في الاسْـتِعاذَةِ مِـن المَـكارِهِ وسَـيِّئِ الأخْـلاقِ ومَـذامِّ الأفْعـالِ قولـه: «اللّهُـمّ إنّـي أعوذُ بِـكَ مِن هَيَجـانِ الحِـرْصِ، وسَـوْرَةِ الغَضَـبِ، وغَلَبَةِ الحَسَـدِ، وضَعْفِ الصَّـبرِ، وقِلَّـةِ القَناعَـةِ، وشَكاسَـةِ الخُلـقِ»[2].

وكان مـن وصايـا لقمان الحكيـم عليه السلام لابنه قوله: «يابُنيَّ، إيّـاكَ والضَّجَرَ، وسُـوءَ الخُلـقِ، وقِلَّـةَ الصَّـبرِ، فـلا يَسـتَقيمُ عـلى هـذهِ الخِصـالِ صاحِـبٌ، وألْـزِمْ نَفسَـكَ التُّـؤَدَةَ في أُمـورِكَ، وصَـبِّرْ عـلى مَؤونـاتِ الإخْـوانِ نَفْسَـكَ، وحَسِّـنْ مَـع جَميـعِ النّـاسِ خُلقَـكَ»[3].

فبالصبر الجميل يستطيع الإنسان مواجهة أعظم المحن والمكاره والبلايا، وبدونه يفقد القدرة على تحمل أدنى أقسام المكاره والمصائب والمحن، فعلى المؤمن التحلي بالصبر حتى يتجاوز صعوبات الحياة ومشاقها، ويظفر بما يريد ويرغب، اقتداءً بالإمام زين العابدين عليه السلام الذي واجه كل المصاعب والنوائب والخطوب بصبر جميل وإرادة لا تلين.

---

١ عيون الأخبار: ج ٢ ص ٤٥.

٢ الصحيفة السجّاديّة: ص ٤٥ الدعاء ٨، انظر تمام دعائه عليه السلام .

٣ قصص الأنبياء: ١٩٥/ ٢٤٤.

معنى الصبر

عُـرِّف الصـبر بأنه قوة خفية من قوى الإرادة تمكِّن الإنسـان من ضبط نفسـه لتحمل المتاعب والمشقات والآلام وضبطهما عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع والسـأم والملل والعجلة والرعونة والغضب والبطش والخوف والطمع والأهواء والشـهوات والغرائز[1].

والمـراد بالصـبر هو: احتمال المـكاره والبلايا والمحن من غـير جزع أو هلع. والصبر المحمود هو الصبر على المكاره التي لا يمكن للإنسان دفعها كفقد قريب أو عزيـز، أو سـلب مـال، أو ظلم ظالـم، أو الإصابة بمـرض مزمن.

ومـن أجمـل وأعلى مراتـب الصبر هو الصـبر الجميل، كما أشـار إليه القرآن الكريـم في قولـه تعـالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيـلٌ﴾[2]، ويعني - فيمـا يعنيه - ضبط النفس وحبسها عن الانفعال، وتحمل المكاره والمحن من دون جزع ولا هلع ولا وجـل ولا خـوف، بل تحمل لهـا مع إباء وعزة نفس ورضا بقضـاء الله وقدره، وشـكر لله على نعمه وآلائه.

ويـدل التحـلي بالصـبر الجميل على رفعـة النفـس، ورجاحة العقل، وسـعة الأفـق والنظـر، وقـوة الشـخصية واتزانها؛ وأمـا الجزع فهو يـدل على ضعف الشـخصية وهوانها، وخـوار الإرادة وغيـاب العزيمة.

أخلاق الإمام زين العابدين عليه السلام في مواجهة المحن

جسَّـد الإمـام زيـن العابديـن عليه السلام فضيلـة الصـبر أجمل تجسـيد، وضرب أروع الأمثلـة عـلى الصبر الجميل، وتحمَّل من الخطوب والبلايا والمحن ما يعجز عـن مثله أعاظم الرجـال، وأكابر الأوليـاء والصالحين.

---

١ الأخلاق الإسلامية: عبدالرحمن الميداني، دار القلم، بيروت، ج ٢، ص ١١٩.

٢ سورة يوسف: ١٨.

قال السيد عبدالرزاق المقرم (رحمه الله) عن صبره ما نصه: «ولقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام متقدمًا في صفات الكمال والجلال، متسنمًا أعلى ذروة من الخلق المحمدي، ومن تلك المآثر صبره على المكاره حتى عُدَّ ذلك من مكارم أخلاقه، وأساس كل أكرومة جاء بها؛ لأن المصائب المتعاورة عليه لم يماثله فيها أي مظلوم ومضطهد من نبي أو ولي»[1].

ونشير إلى أبرز تجليات صبره عليه السلام في سيرته العظيمة في النقاط الآتية:

أولًا- الصبر الجميل

اتصف الإمام زين العابدين عليه السلام بالصبر الجميل وشدة التحمل في مواجهة المحن والخطوب والبلايا، ومن أعظمها ما رآه بأم عينيه في كربلاء؛ إذ رأى المصائب والمآسي التي لا مثيل لها في تاريخ الإنسانية، فقد قتل الإمام الحسين عليه السلام ومن معه من عترة النبي صلى الله عليه وآله والصفوة من أصحابه أبشع قتلة، فلم يسلم من الجيش الأموي صغير ولا كبير، ولم يرحموا شيخًا طاعنًا في السن ولا طفلًا رضيعًا، ولم يكتفوا بالقتل الشنيع، بل قاموا بحرق الخيام، وترويع النساء والأطفال.

وعندما سمع الإمام زين العابدين عليه السلام أباه الإمام الحسين عليه السلام ينادي بأعلى صوته: «هَل مِن ذابٍّ يَذُبُّ عَن حَرَمِ رَسولِ اللَّهِ؟ هَل مِن مُوَحِّدٍ يَخافُ اللَّهَ فينا؟ هَل مِن مُغيثٍ يَرجُو اللَّهَ بِإِغاثَتِنا؟ هَل مِن مُعينٍ يَرجو ما عِندَ اللَّهِ في إعانَتِنا؟»[2] نهض رغم مرضه يتوكأ على عصا ويجر سيفه، لأنه مريض لا يستطيع الحركة، فصاح الحسين بأم كلثوم: «احبسيه، لئلا تخلو الأرض من آل محمد، فأرجعته إلى فراشه»[3].

وبقيت مصائب كربلاء ومأساتها مغروسة في ذاكرة الإمام زين العابدين

---

١ حياة الإمام زين العابدين: السيد عبد الرزاق المقرم، ص ٤٩٨.

٢ الملهوف: ص ١٦٨.

٣ الخصائص الحسينية: ص ١٢٩. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٤٦.

(عليه السلام) لا تفارقه لحظة من لحظات حياته، وكيف ينسى وقد رأى السيوف والنبال والأسنة تنهال على جسد أبيه سيد شباب أهل الجنة ومن معه من أهل بيته وأصحابه الخلّص؟! وكيف ينسى وقد رأى منع القوم لعترة النبي (صلى الله عليه وآله) الماء عنهم ليموتوا عطشًا؟! وكيف ينسى وهو ينظر إلى أبيه ومن معه من أهله وأصحابه مجزرين كالأضاحي على صعيد كربلاء، وهو إذ ذاك يسمع عويل الأيامى وبكاء الثكالى وصراخ الأطفال؟!

فلا يوم كيوم عاشوراء، كما روي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام). قال: «ولا يَومَ كَيَومِ الحُسَينِ (عليه السلام)، ازدَلَفَ إلَيهِ ثَلاثونَ ألفَ رَجُلٍ يَزعُمونَ أنَّهُم مِن هذِهِ الأُمَّةِ، كُلٌّ يَتَقَرَّبُ إلَى اللَّهِ عز وجل بِدَمِهِ[1]، وهُوَ بِاللَّهِ يُذَكِّرُهُم فَلا يَتَّعِظونَ، حَتّى قَتَلوهُ بَغيًا وظُلمًا وعُدوانًا»[2].

ومع ذلك المصاب الجلل والرزية العظمى كان (عليه السلام) صابرًا محتسبًا أمره إلى الله تعالى، وأخذ يذكر الناس بأحداث كربلاء كي تبقى حيَّة في الوجدان الشعبي، وبعدما رجع إلى المدينة المنورة وأقام فيها، انصرف إلى العلم، وأخذ ينشر العلوم والمعارف الإلهية بين أهل العلم والمعرفة ليبني جيلًا أخلاقيًا متعلمًا، ويعلِّم الناس أحكام الإسلام ومفاهيمه، ويبين لهم عقائد الإسلام ومسائل الدين، ويرسخ قيم الأخلاق في المجتمع.

---

١ يوجد حديث آخر مروي عن الإمام السجَّاد (ع)، وقد ذكر فيه عن لسان الإمام الحسن (ع):
يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدَّعون أنَّهم من أمَّة جدِّنا محمَّد (صلى الله عليه وآله)، وينتحلون الإسلام، فيجتمعون على قتلك.

٢ الأمالي للصدوق: ص ٥٤٧ ح ٧٣١، الخصال: ص ٦٨ ح ١٠١، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٩٨ ح ٤.

ثانيًا- الشجاعة والإباء

من أشد المحن والخطوب بعد واقعة كربلاء التي ابتلي بها الإمام زين العابدين عليه السلام محنة الأسر مع عقائل النبوة، والطواف بهن من شارع إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى، وإدخاله على ابن زياد، ثم على يزيد بن معاوية مع إظهار الشماتة به ومن كان معه من أهل البيت الأطهار؛ لكن الإمام عليه السلام كان في غاية الصبر والتحمل، متوكِّلًا على الله تعالى، وموكِّلًا أمره إليه سبحانه، مع رباطة جأش وشجاعة قلب وقوة إباء وعزة نفس؛ فلم يستسلم أمام طواغيت زمانه، وكان يواجههم بقوة المنطق وصلابة الإيمان من دون خوف أو وجل منهم.

وكان الهدف من أخذهم أسارى وسوقهم في الطرقات إظهار الشماتة بهم، وتشويه صورتهم أمام الرأي العام، ولكن عندما كانوا يعرفون الحقيقة كانوا يبكون ويندبون، فقد روى الشيخ المفيد عن حَذلم بن سُتَير قال: «قَدِمتُ الكوفَةَ فِي المُحَرَّمِ سَنَةَ إحدى وسِتّينَ، عِندَ مُنصَرَفِ عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ عليهما السلام بِالنِّسوَةِ مِن كَربَلاءَ ومَعَهُمُ الأَجنادُ مُحيطونَ بِهِم، وقَد خَرَجَ النّاسُ لِلنَّظَرِ إلَيهِم، فَلَمّا أُقبِلَ بِهِم عَلَى الجِمالِ بِغَيرِ وِطاءٍ، جَعَلَ نِساءُ الكوفَةِ يَبكينَ ويَنتَدِبنَ»[1].

وفي كتاب مطالب السؤول: «ثُمَّ إنَّ القَومَ استاقُوا الحَرَمَ كَما تُساقُ الأُسارى حَتَّى أتَوُا الكوفَةَ، فَخَرَجَ النَّاسُ، فَجَعَلوا يَنظُرونَ ويَبكونَ ويَنوحونَ، وكانَ عَلِيٌّ بنُ الحُسَينِ -زَينُ العابِدينَ عليه السلام - قَد أنهَكَهُ

١ الأمالي للمفيد: ص ٣٢١ الرقم ٨، الأمالي للطوسي: ص ٩١ الرقم ١٤٢، الاحتجاج: ج ٢ ص ١٠٩ الرقم ١٧٠ عن حذيم بن شريك الأسدي وفيه «نساء أهل الكوفة ينتدبن مشقّقات الجيوب والرجال معهنّ يبكون» بدل «جعل...»؛ بلاغات النساء: ص ٣٩ عن حذام الأسدي وفيه « نساء أهل الكوفة يومئذٍ قيامًا يلتدمن مهتكات الجيوب» بدل «جعل...» وكلاهما نحوه.

المَـرَضُ، فَجَعَـلَ يَقـولُ: أَلَا إنَّ هـؤُلاءِ يَبكـونَ ويَنوحـونَ مِـن أجلِنـا، فَمَـن قَتَلَنـا؟»[1]، فلـولا تقصيرهـم وتخاذلهم وانحياز أكثرهـم إلى الجيش الأموي لما حدث ما حـدث في كربلاء.

ومع كل هذه المحن والرزايا العظيمة كان الإمام صابرًا ومصابرًا ومحتسـبا أمـره كله للـه سـبحانه، وكان يتصف بالعـزة والإباء والشـجاعة حتى وهو في الأسر وفي مجلـس الطاغيـة المتبختر بطغيانه وجلاوزته، فقد روى ابن سـعد في الطبقـات الكـبرى (الطبقة الخامسـة من الصحابـة): قامَ رَجُلٌ مِن أهلِ الشَّـامِ، فَقـالَ: إنَّ سَـباياهُم لَنا حَلالٌ!

فَقـالَ عَـلِيُّ بـنُ حُسَـينٍ عليه السلام : «كَذَبـتَ ولَؤُمـتَ، مـا ذاكَ لَـكَ إلَّا أن تَخرُجَ مِن مِلَّتِنـا وتَأتِيَ بِغَـيرِ دينِنا».

فَأَطـرَقَ يَزيـدُ مَلِيًّـا، ثُـمَّ قـالَ لِلشَّـامِيِّ: اجلِـس[2]. فلـم يخـف مـن يزيـد وجلاوزته المحيطين به؛ بل كان في غاية الشـجاعة والجرأة كأبيه سـيد الشـهداء عليه السلام .

وفي موقـف آخـر يرويـه القمي في تفسـيره عن الصادق عليه السلام ، قـال: لَمَّا أُدخِلَ رَأسُ الحُسَـينِ بـنِ عَـلِيٍّ عليه السلام عَـلى يَزيـدَ، وأُدخِـلَ عَلَيـهِ عَـلِيُّ بـنُ الحُسَـينِ عليه السلام وبَنـاتُ أمـيرِ المُؤمِنـينَ عليه السلام ، وكانَ عَلِيُّ بنُ الحُسَـينِ عليه السلام مُقَيَّدًا مَغلولاً، فَقـالَ يَزيـدُ: يـا عَـلِيَّ بـنَ الحُسَـينِ، الحَمـدُ للَّـهِ الَّـذي قَتَـلَ أباكَ.

فَقالَ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ عليه السلام : لَعَنَ اللَّهُ مَن قَتَلَ أبي.

---

١ مطالب السؤول: ص ٧٦؛ كشف الغمّة: ج ٢ ص ٢٦٣.

٢ الطبقـات الكـبرى (الطبقة الخامسـة من الصحابة): ج ١ ص ٤٨٩، تاريخ دمشـق: ج ٤١ ص ٣٦٧، المنتظم: ج ٥ ص ٣٤٥ كلاهما عن مصعب بن عبداللَّه؛ شرح الأخبار: ج ٣ ص ٢٥٢ كلّهـا نحوه.

قـالَ: فَغَضِـبَ يَزيدُ وأمَـرَ بِضَربِ عُنُقِـهِ عليه السلام [1]، لكن إرادة الله ومشـيئته حفظت الإمام من القتل لتستمر الإمامة في عقبه.

وعندمـا أُدخـل علي بن الحسـين (مـع بقيـة الأسرى) على يزيـد، وأتيحت له الفرصـة في أن يخطـب في الحاضريـن أبكى العيـون، وأجهش الجميـع بالبكاء.

روى الطـبرسي في الاحتجـاج:

رُوِيَ لَمّـا أُدخِـلَ عَـلِيُّ بـنُ الحُسَـينِ زَيـنُ العابِديـنَ عليه السلام في جُملَةِ مَـن حُمِلَ إلَى الشّـام سَـبايا مِـن أولادِ الحُسَـينِ بـنِ عَـلِيٍّ عليه السلام وأهاليـهِ عَـلى يَزيـدَ، قـالَ لَـهُ: يـا عَـلِيُّ، الحَمـدُ للَّـهِ الَّـذي قَتَـلَ أباكَ!

قالَ عَلِيٌّ عليه السلام : قَتَلَ أبِيَ النّاسُ.

قالَ يَزيدُ: الحَمدُ للَّهِ الَّذي قَتَلَهُ فَكَفانيهِ!

قـالَ عَـلِيٌّ عليه السلام : عَـلى مَـن قَتَـلَ أبـي لَعنَـةُ اللَّـهِ، أفَتَرانـي لَعَنـتُ اللَّـهَ عـز وجل؟!

قـالَ يَزيـدُ: يـا عَـلِيُّ، اصعَـدِ المِنـبرَ فَأَعلِـمِ النّـاسَ حـالَ الفِتنَةِ، ومـا رَزَقَ اللَّـهُ أمـيرَ المُؤمِنـينَ مِـنَ الظَّفَرِ!

فَقالَ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ عليه السلام : ما أعرَفَني بِما تُريدُ.

فَصَعِـدَ المِنـبرَ، فَحَمِـدَ اللَّـهَ وأثنـى عَلَيـهِ، وصَـلّى عَـلى رَسـولِ اللَّـهِ (صلى الله عليه وآله)، ثُـمَّ قـالَ: أيُّهَـا النّـاسُ! مَن عَرَفَنـي فَقَد عَرَفَنـي، ومَن لَـم يَعرِفني فَأَنَـا أُعَرِّفُهُ بِنَفـسي، أنَـا ابـنُ مَكَّـةَ ومِنًـى، أنَـا ابـنُ المَـروَةِ وَالصَّفـا[2]، أنَـا ابـنُ مُحَمَّـدٍ المُصطَفـى، أنَـا ابـنُ مَـن لا يَخفـى، أنَـا ابـنُ مَـن عَـلا فَاسـتَعلى فَجازَ سِـدرَةَ المُنتَهـى، فَـكانَ مِـن رَبِّـهِ قـابَ قَوسَـينِ أو أدنـى.

---

١ تفسير القمّي: ج ٢ ص ٣٥٢، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٦٨ ح ١٤ و ح ١٣ نحوه.

٢ في بعض النسخ: «أنا ابن زمزم والصفا» (هامش المصدر).

فَضَجَّ أهلُ الشّامِ بِالبُكاءِ حَتّى خَشِيَ يَزيدُ أن يُؤخَذَ مِن مَقعَدِهِ، فَقالَ لِلمُؤَذِّنِ: أذِّن.

فَلَمّا قالَ المُؤَذِّنُ: «اللَّهُ أكبرُ، اللَّهُ أكبرُ» جَلَسَ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ عليه السلام عَلَى المِنبَرِ، فَقالَ:

«أشهَدُ أن لا إلهَ إلّا اللَّهُ، وأشهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ»، بَكى عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ عليه السلام ثُمَ التَفَتَ إلى يَزيدَ فَقالَ: يا يَزيدُ، هذا أبوكَ أم أبي؟ قالَ: بَل أبوكَ، فَانزِل، فَنَزَلَ عليه السلام فَأَخَذَ ناحِيَةَ بابِ المَسجِدِ[1].

فالصبر لا يعني الاستسلام للمحن والخطوب، ولا يعني الضعف والهوان، بل يعني القدرة على التحمل، والتصبر على البلايا، وقد أثبت الإمام ذلك بصبره وتحمله لأعظم المحن والمكاره والخطوب؛ ولكنه لم يستسلم ولم يضعف أمام طواغيت زمانه الذين قتلوا عترة النبي صلى الله عليه وآله؛ بل كان صلبًا في إيمانه، وقويًّا في منطقه، وشديدًا في صبره، وشجاعًا في رأيه، وعزيزًا في شخصيته.

ثالثًا- رباطة الجأش

طبيعة الإنسان الفطرية أنه يحب أولاده محبة كبيرة، ويتأثر لأي مكروه يصيبهم؛ لأنهم ثمرة قلبه، وقد روي عن رسول اللَّهِ صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنّ لِكُلِّ شَجَرَةٍ ثَمَرَةً، وثَمَرَةُ القَلبِ الوَلَدُ»[2].

ومن السعادة أن يكون للإنسان أولاد يستعين بهم عند الحاجة، لما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام : «مِن سَعادَةِ الرَّجُلِ أن يَكونَ لَهُ وُلْدٌ يَستَعينُ بِهِم»[3].

---

١ الاحتجاج: ج ٢ ص ١٣٢ ح ١٧٥، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٦١.

٢ كنز العمّال: ٤٥٤١٥.

٣ الكافي: ٦/ ٢/ ٢.

وبالنظـر إلى طبيعة الناس فإن كثـيرًا منهم يفقد صبره وجلده عند فقدانه أحد أولاده خصوصًـا إذا كان في مرحلـة الشـباب، لأن موت الولد يُحرق الفؤاد، لما روي عـن الإمـام عـلي عليه السلام أنه قـال: «فَقْـدُ الوَلَدِ مُحـرِقُ الكَبِـدِ»[1]، لكـن الإمام زين العابدين عليه السلام عرف بشدة الصبر ورباطة الجأش حتى إنه عندما يفقد أحد أولاده لا يفقـد صـبره، بل يبقى محافظًا على اتزانه وصـبره حتى كان يتعجب الناس من عظيم صبره، ورباطة جأشـه في مثل هذه المواقف الإنسـانية المؤلمة.

رُوِيَ: «أَنَّ قَوْمًـا كَانُـوا عِنْـدَ عَـلِيِّ بْـنِ الْحُسَـيْنِ عليه السلام ، فَاسْـتَعْجَلَ خَادِمًـا بِشَـوَاءٍ فِي التَّنُّـورِ فَأَقْبَـلَ بِـهِ مُسْرِعًـا فَسَـقَطَ السَّـفُّودُ مِنْ يَـدِهِ عَلَى ابْـنٍ لَهُ عليه السلام ، فَأَصَـابَ رَأْسَـهُ فَقَتَلَـهُ، فَوَثَـبَ عَـلِيُّ بْنُ الْحُسَـيْنِ عليه السلام فَلَمَّـا رَأَى ابْنَـهُ مَيِّتًا قَالَ لِلْغُـلَامِ: أَنْـتَ حُـرٌّ لِوَجْـهِ اللَّـهِ. أَمَـا إِنَّـكَ لَـمْ تَتَعَمَّـدْهُ، وَأَخَذَ فِي جَهَـازِ ابْنِـهِ»[2].

وفي موقـف آخـر: «سَـمِعَ [الإمـام] وَاعِيَـةً فِي بَيْتِهِ وَعِنْـدَهُ جَمَاعَـةٌ، فَنَهَضَ إِلَى مَنْزِلِـهِ ثُـمَّ رَجَـعَ، فَقِيـلَ لَـهُ: أَمِـنْ حَـدَثٍ كَانَـتِ الْوَاعِيَةُ؟

قَالَ: نَعَمْ، فَعَزُّوهُ وَتَعَجَّبُوا مِنْ صَبْرِهِ.

فَقَالَ: إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ نُطِيعُ اللَّهَ فِيمَا يُحِبُّ، وَنَحْمَدُهُ فِيمَا نَكْرَهُ»[3].

وهـذه الأخلاقيـات النبيلة أمام الخطوب والنوائـب والمحن لا يتحلى بها إلا أصحاب القلوب النقية والنفوس الزكية كالإمام زين العابدين عليه السلام ؛ وفيها دلالة جلية على صبر الإمام الجميل، وشـدة تحمله، وقوة إرادته، ورباطة جأشـه، وشـجاعة قلبه، وعزة نفسـه (سـلام الله وصلواته عليه).

---

١ غرر الحكم: ٦٥٤٢.

٢ بحار الأنوار: ج٧٩، ص: ١٤٢.

٣ كشف الغمة في معرفة الأئمة (ط - القديمة)، ج٢، ص: ١٠٢.

أخلاقياته عليه السلام في العمل التطوعي

العمل التطوعي ركيزة مهمة في تنمية المجتمع وتطويره، والارتقاء به في مختلف الأصعدة والمجالات، لأنه يساهم في توليد الأجواء الإيجابية والمحفزة عند أفراد المجتمع للمساهمة الفاعلة في دفع عجلة التقدم والنهوض الحضاري بالمجتمع.

ويعزز العمل التطوعي من القيم الاجتماعية والأخلاقية والإنسانية بين الطبقات الاجتماعية المختلفة كقيم التراحم والتماسك والتكافل الاجتماعي، وكقيم العطاء والإيثار والبذل والكرم والسخاء من أجل إسعاد الآخرين، وإشاعة البهجة والسعادة في المجتمع.

وكلما ازدادت مؤسسات ومراكز وجمعيات العمل التطوعي، وتنوعت مجالاتها واهتماماتها، واستقطبت أكبر عدد من المتطوعين والمتطوعات؛ استطاعت أن ترتقي بالمجتمع، وتلبي احتياجاته، وتعالج نقاط الضعف فيه، وتعزز نقاط القوة التي تخلق من المجتمع مجتمعًا فاعلاً ومتقدمًا ومعطاءً.

وللعمل التطوعي أخلاق وآداب ينبغي على العاملين فيه أن يتحلوا بها حتى تتحقق الأهداف المرجوة منه، وينمو ويستمر ويدوم؛ وأما إذا غابت القيم الأخلاقية عنه فيؤدي إلى ضعفه، وربما أدى إلى نتائج سلبية وإفرازات سيئة.

أخلاق التطوع عند الإمام زين العابدين عليه السلام

عندما نتصفح السيرة المشرقة للإمام زين العابدين عليه السلام نكتشف حبه الشديد للعمل التطوعي، وتمسكه بأخلاقيات العمل التطوعي في أعلى مراتبها ودرجاتها؛ وهو القدوة الحسنة في عمل التطوع، وفعل الخيرات، ومساعدة المحتاجين والفقراء والأيتام والمساكين، وقضاء حوائجهم، وحل مشاكلهم.

وقد عُرف الإمام عليه السلام بين الخاصة والعامة بالكرم والجود والسخاء

والعطـاء، والـبرِّ والإحسـان إلى الفقراء والأيتـام والمعوزيـن والمحتاجين؛ فكان عليه السلام مـن أسـخى الناس وأكرمهم، وأنداهـم كفًّا، وأكثرهم جودًا، وأشـدهم برًّا ورحمـة بالفقـراء واليتامـى والمسـاكين، وكان يحب مجالسـتهم ومصاحبتهم، ويقـضي حوائجهم بقدر المسـتطاع.

وسـجَّل لنـا التاريخ نمـاذج مضيئة من كرمـه وجوده وسـخائه مع أخلاق راقية، فجسَّد عليه السلام في سيرته الأخلاقية أروع الأمثلة في الكرم والجود والعطاء، والتعامـل برفق وعطـف وحنان مع الفقراء والمسـاكين.

وكان عليه السلام المثل الأعلى في التمسك بأخلاقيات العمل التطوعي وآدابه، ونذكر أبرزها ضمن النقاط الآتية:

اولا : احترام كرامة الفقير

تعامـل الإمـام زيـن العابدين عليه السلام بأجلى صور الإنسـانية التـي قلَّ نظيرها مـع الفقـراء والأيتام والمسـاكين والمحتاجين، وجسَّـد مفهـوم الإنسـانية عمليًّا في سـيرته الأخلاقيـة الرفيعة معهم، وحافـظ على كرامتهم الإنسـانية، ومراعاة مشـاعرهم وعواطفهم، واحترام شـخصيتهم.

لقـد كان الإمـام عليه السلام يحتفـي بالفقراء كثيرًا، ويتعامـل معهم بلطف ورفق وعطف وحنان، ويراعي مشاعرهم وعواطفهم؛ فكان إذا أعطى سائلًا قبَّله لئلا يرى عليـه أثـر الـذل والحاجة. قَـالَ الطَّائِيُ: «إِنَّ عَـلِيَّ بْـنَ الْحُسَـيْنِ عليه السلام كَانَ إِذَا نَاوَلَ الصَّدَقَـةَ السَّـائِلَ قَبَّلَهُ ثُـمَّ نَاوَلَـهُ»[1].

وكان عليه السلام يرحب بالفقراء ويكرمهم، فقد روي: «كَانَ إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ يَقُولُ:

---

١ بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٨٩.

مَرْحَبًا بِمَنْ يَحْمِلُ زَادِي إِلَى الْأُخرَة»[1].

لقد جسَّد الإمام عليه السلام الإنسانية في أعلى صورها في تعامله الأخلاقي والإنساني مع الفقراء والضعفاء؛ فلم نقرأ ولم نسمع أن كريمًا أو جوادًا كان يُقبِّل السائل قبل أن يناوله شيئًا من المال، ويرحب به للحفاظ على كرامته الإنسانية، وحتى لا يشعر بالذل والمسكنة، وكي يعزز ثقة السائل بنفسه عبر احترامه وإكرامه.

ثانيا: التواضع

من أخلاقيات العمل التطوعي: التواضع، وهو يعبر عن سمو النفس ورفعتها، فالتواضع -كما عرَّفه علماء الأخلاق- هو اللين مع حسن الخلق، والخضوع للحق، وخفض الجناح. وهو يعني أيضًا احترام الناس وتقديرهم حسب أقدارهم، وعدم الترفع عليهم.

وقد جسّد الإمام عليه السلام هذا الخُلُق النبيل في سيرته المباركة، وفي تعامله مع كافة الناس، وخصوصًا الفقراء، فقد كان يحب مجالستهم ومصاحبتهم، لما روي عنه عليه السلام في دعائه: «اللَّهُمَّ حَبِّب إِلَيَّ صُحبَةَ الفُقَراءِ، وأعِنِّي عَلى صُحبَتِهِم بِحُسنِ الصَّبرِ، وما زَوَيتَ عَنِّي مِن مَتاعِ الدُّنيَا الفانِيَةِ فَاذخَرهُ لي في خَزائِنِكَ الباقِيَةِ»[2]. وكان عليه السلام يسرُّه أن يحضر على مائدة طعامه اليتامى والفقراء والمرضى الذين لا حيلة لهم، ويناولهم الطعام بيده المباركة، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «وكانَ يُعجِبُهُ أن يَحضُرَ طَعامَهُ اليَتامى وَالأَضرّاءُ وَالزَّمنى[3] وَالمَساكينُ الَّذينَ لا حيلَةَ لَهُم، وكانَ يُناوِلُهُم بِيَدِهِ، ومَن كانَ لَهُ مِنهُم

---

١ بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٩٨، ح ٨٦. المنتظم: ابن الجوزي، ج ٦، ص ٣٢٨. صفة الصفوة: ابن الجوزي، ص ٣٢٥. مطالب السؤول: ص ٤١٢. حلية الأولياء: ج ٢، ص ٤١٨.

٢ الصحيفة السجّاديّة: ص ١٢٢ الدعاء ٣٠.

٣ الزَّمانة: العاهة، زَمِنَ زَمَانةً فهو زَمِنٌ، والجمع زَمْنى (القاموس المحيط: ج ٤ ص ٢٣٢ «زمن»).

عِيالٌ حَمَلَ له إلى عِيالِهِ مِن طَعامِهِ»[1]. ويدل هذا على شدة تواضعه للفقراء والمساكين والضعفاء وغيرهم.

ثالثا : الرحمة

من أخلاقيات العمل التطوعي: الرحمة والعطف والرأفة بالفقراء والمحتاجين، وعدم التعامل معهم بقسوة وشدة وغلظة.

وقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام عظيم الرحمة والعطف، وكثير الرأفة والحنان على الفقراء والمساكين والضعفاء، وبلغ من رأفته بالفقراء والمحتاجين، والعطف عليهم، أنه كره جذاذ النخل في الليل[2]؛ لأن الفقراء لا يحضرون في هذا الوقت فيحرمون من العطاء، فقد روي عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام : أَنَّهُ قَالَ لِقَهْرَمَانِهِ -وَوَجَدَهُ قَدْ جَذَّ نَخْلاً لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ-: «لَا تَفْعَلْ، أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله نَهَى عَنِ الْحَصَادِ وَالْجَذَاذِ بِاللَّيْلِ، وَكَانَ يَقُولُ: الضِّغْثُ تُعْطِيهِ مَنْ يَسْأَلُ، فَذَلِكَ حَقُّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ»[3].

وبلغ من رحمته ورأفته بالفقراء أيضًا: أنه كان لا يرد سائلاً مهما كان حاله، فقد روى سَعِيد بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: حَضَرْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَوْمًا حِينَ صَلَّى الْغَدَاةَ، فَإِذَا سَائِلٌ بِالْبَابِ فَقَالَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ: «أُعْطُوا السَّائِلَ، وَلَا تَرُدُّوا سَائِلًا»[4].

---

١ الخصال: ص ٥١٨ ح ٤، المناقب لابن شهرآشوب: ج ٤ ص ١٥٤ كلاهما عن حمران بن أعين، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٦٢ ح ١٩.

٢ الجذاذ هو صرام النخل.

٣ تفسير العيَّاشي: ج ١، ص ٣٨٠، ح ١١١. وسائل الشيعة: ج٩، ص: ٢٠١، ح ١١٨٣٩.

٤ الكافي: ج ٤ ص ١٥، ح ٤. الوافي: ج ١٠، ص ٤١١، ح ٩٧٨٩. الوسائل: ج ٩، ص ٤٢٠، ح ١٢٣٧٩. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٠٧، ح ١٠٣.

وروي عنه عليه السلام أنه قال: «أخافُ أن يَكونَ بَعضُ مَن يَسألُنا مُحِقًّا فلا نُطعِمُهُ ونَرُدُّهُ فَيَنزِلُ بِنا أهلَ البيتِ ما نَزَلَ بِيَعقوبَ وآلِهِ عليهم السلام ....»[1].

وقد طبَّق الإمام ما أرشد إليه القرآن الكريم من الدعوة إلى التعامل بلين ورفق مع السائل، والنهي عن نهره ورده كما في قوله تعالى: {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ}[2].

ومن الشواهد على رحمته وعطفه ورأفته بالفقراء أيضًا: أن الإمام عليه السلام لم يكتفِ بإعطاء الصدقات والصلات إلى الفقراء والمحتاجين، بل كان يتصدق عليهم بأفضل الطعام، والإنفاق مما يحب، فقد ورد عَنْ أَبِي عبدالله الدَّامْغَانِي قال: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ يَتَصَدَّقُ بِالسُّكَّرِ وَاللَّوْزِ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى:﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[3] وَكَانَ عليه السلام يُحِبُّهُ»[4].

وروي: «أنه كَانَ لَا يَأْكُلُ طَعَامًا حَتَّى يَبْدَأَ فَيَتَصَدَّقَ بِمِثْلِهِ»[5] على الفقراء والأيتام والمعوزين والمحتاجين والضعفاء وغيرهم.

رابعا : الإخلاص في العمل

من أخلاقيات العمل التطوعي: الإخلاص في العمل، بأن يكون الدافع للتطوع هو القربة إلى الله تعالى، حتى ينال المتطوع الأجر والثواب الجزيل؛

---

١ قصص الأنبياء: ١٢٦/ ١٢٧.

٢ سورة الضحى: ١٠.

٣ سورة آل عمران: ٩٢.

٤ مناقب آل أبي طالب (عليهم السلام): ابن شهرآشوب، ج٤، ص: ١٥٤. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٨٩.

٥ بحار الأنوار: ج٤٦، ص ٦٣.

وأمـا إذا كان هـدف المتطوع السـمعة والريـاء والتباهي والتفاخـر أمام الناس فهذا يحبط العمل ويفسـده.

وقد ضرب الإمام زين العابدين عليه السلام أروع الأمثلة في الإخلاص، فكان يغطي وجهـه عندمـا يوزع عطاياه للفقراء حتى لا يعرفه أحـد، فقد تحدث الإمام الباقر عليه السلام عـن أبيـه قائـلاً: «إنّـهُ كانَ يَخـرُجُ في اللَّيلةِ الظَّلمـاءِ، فَيَحمِلُ الجِـرابَ على ظَهـرِهِ حتّـى يَأتِـيَ بابًـا بابًـا، فَيَقرَعَـهُ ثمّ يُنـاوِلَ مَـن كانَ يَخـرُجُ إلَيـهِ، وكانَ يُغَطِّـي وَجهَـهُ إذا ناوَلَ فَقيرًا لِئـلاَّ يَعرِفَهُ»[1].

وَ فِي خَـبر: «أَنَّـهُ كَانَ إِذَا جَنَّـهُ اللَّيْـلُ وَهَـدَأَتِ الْعُيُـونُ قَـامَ إِلَى مَنْزِلِـهِ فَجَمَعَ مَـا يَبْقَـى فِيـهِ عَنْ قُـوتِ أَهْلِـهِ وَجَعَلَـهُ فِي جِـرَابٍ وَرَمَى بِهِ عَـلَى عَاتِقِـهِ، وَخَرَجَ إِلَى دُورِ الْفُقَـرَاءِ وَهُـوَ مُتَلَثِّـمٌ وَيُفَـرِّقُ عَلَيْهِمْ وَكَثِيرًا مَـا كَانُوا قِيَامًا عَـلَى أَبْوَابِهِمْ يَنْتَظِرُونَـهُ، فَـإِذَا رَأَوْهُ تَبَـاشَرُوا بِـهِ وَقَالُوا: جَـاءَ صَاحِبُ الْجِـرَابِ»[2].

إن من أعظم صور الإخلاص في التطوع، والإحسان والبِّر بالفقراء والأيتام والمحتاجين هو توفير مستلزماتهم الحياتية من مأكل ومشرب وغيرها من دون إظهار الشخص المتبرع نفسه لهم، بل كان يعمل جاهدًا على عدم معرفتهم له، فكان يحمل أكياس المواد الغذائية على كتفه ليلًا، ويطرق أبواب الفقراء، ويضعها وينصرف، ولم يعرفوا الشخص الذي كان يهتم بهم ويساعدهم إلا بعد أن مضى إلى ربه؛ إنه الإمام زين العابدين عليه السلام .

ويدل على ذلك: ما ورد عن محمّد بن إسحاق قال: «إنَّهُ كانَ ناسٌ مِن أهلِ المَدينةِ يَعِيشُونَ لا يَدرُونَ مِن أينَ مَعاشُهُم، فلمَّا ماتَ عليٌّ بنُ الحسينِ فَقَدُوا ما كانُوا يُؤتَونَ بِهِ باللّيلِ»[3].

---

١ بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٨٩، ح ٧٧.

٢ مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج٤، ص ١٦٦.

٣ صفـة الصفـوة: ابن الجوزي، المكتبة العصرية، بيروت، طبع عـام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٣٢٦. مناقب آل أبي طالب: ابن شـهر آشـوب، ج٤، ص ١٦٦. بحار الأنوار: ج٤٦، ص

وعن محمد بن زكريا قال: سمعت ابن عَائِشَةَ يقول: قال أبي: سَمِعَتْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ: «مَا فَقَدْنَا صَدَقَةَ السِّرِّ حَتَّى مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام »[1].

وذكر الذهبي عن بعضهم أنهم كانوا يقولون: «مَا فَقَدْنَا صَدَقَةَ السِّرِّ حَتَّى توفي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ»[2].

وفي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ: «أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ كَذَا وَكَذَا بَيْتًا يَأْتِيهِمْ رِزْقُهُمْ وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ لَا يَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِمْ، فَلَمَّا مَاتَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ فَقَدُوا ذَلِكَ، فَصَرَخُوا صَرْخَةً وَاحِدَةً»[3].

ونقل الذهبي عن ابن عيينة، عن أبي حمزة الثمالي قال: «إنَّ عليَّ بن الحسين كان يحمل الخبز باللَّيل على ظهره يتّبع به المساكين في الظّلمة، ويقول: إنَّ الصَّدقة في سواد اللّيل تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»[4].

وروى أبو نعيم الأصبهاني بسنده: عن أَبُي حَمْزَةَ الثُّمَالِيُّ قال: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَحْمِلُ جِرَابَ الْخُبْزِ عَلَى ظَهْرِهِ بِاللَّيْلِ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ، ويقول: إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ»[5].

ومن شدة إخلاصه: إنه كان بنفسه الشريفة يحمل الأكياس على ظهره حتى أثَّرت فيه، فقد روى أبو نعيم الأصبهاني بإسناده: عن عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ

٨٨، ح ٧٧.

١ حلية الأولياء: ج ٢، ص ٤١٧. صفة الصفوة: ابن الجوزي، ج ١، ص ٣٢٦.

٢ سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٨١. حلية الأولياء: ج ٢، ص ٤١٧.

٣ مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج٤، ص ١٦٦. صفة الصفوة: ابن الجوزي، ج ١، ص ٣٢٦.

٤ سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٨١.

٥ حلية الأولياء: ج ٢، ص ٤١٦.

قال: «لَمَّا مَاتَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَغَسَّلُوهُ جَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَى آثَارِ سَوَادٍ فِي ظَهْرِهِ، وَقَالُوا: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ: كَانَ يَحْمِلُ جُرُبَ الدَّقِيقِ لَيْلاً عَلَى ظَهْرِهِ يُعْطِيهِ فُقَرَاءَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»[1].

وروى الشيخ الصدوق بإسناده: عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا قَالَ: «لَمَّا وُضِعَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَى السَّرِيرِ لِيُغَسَّلَ، نُظِرَ إِلَى ظَهْرِهِ وَعَلَيْهِ مِثْلُ رُكَبِ الْإِبِلِ مِمَّا كَانَ يَحْمِلُ عَلَى ظَهْرِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ»[2].

وروى الزُّهْرِيُّ قال: «لَمَّا مَاتَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام فَغَسَّلُوهُ وَجَدَ عَلَى ظَهْرِهِ مَحْلٌ، فَبَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ يَسْتَقِي لِضَعَفَةِ جِيرَانِهِ بِاللَّيْلِ»[3].

خامسا : المبادرة إلى فعل الخير

على المتطوع أن يتحلى بروح المبادرة في الأعمال التطوعية، وفعل الخيرات، وألا ينتظر أحدًا يشجعه على فعل ذلك، بل عليه أن يشجع غيره على التسابق في فعل الخيرات كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[5].

وقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام مبادرًا في قضاء حوائج المحتاجين، وفعل الخيرات والمبرات، فلم يكن ينتظر الفقراء حتى يأتوه، بل كان يبادر بالذهاب إليهم والتصدق عليهم وهم في بيوتهم، ومساعدة المحتاجين وقضاء حوائجهم، فعن الإمام الْبَاقِرِ عليه السلام قال: «كَانَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام

---

١ حلية الأولياء: ج ٢، ص ٤١٧. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج٤، ص ١٦٧.

٢ علل الشرائع: ص ٨٨. بحار الأنوار: ج٤٦، ص: ٦٦، ح ٢٩.

٣ حلية الأولياء، ج ٢، ص ٤١٧.

٤ سورة البقرة: الآية ١٤٨.

٥ سورة آل عمران: الآية ١١٤.

يَحْمِلُ جِرَابَ الْخُبْزِ عَلَى ظَهْرِهِ بِاللَّيْلِ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ»[1].

ومن الشواهد على مبادرته عليه السلام : المبادرة إلى أداء ديون المديونين مهما بلغت، ويذكر المؤرخون كثيرًا من القصص في هذا الجانب، ومنها: أن الإمام زين العابدين عليه السلام دَخَلَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فِي مَرَضِهِ، فَجَعَلَ مُحَمَّدٌ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عليه السلام : «مَا شَأْنُكَ؟».

فَقَالَ: عَلَيَّ دَيْنٌ.

فَقَالَ لَهُ: «كَمْ هُوَ؟».

فَقَالَ: خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ.

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: «هُوَ عَلَيَّ» فَالْتَزَمَهُ عَنْهُ[2].

ونحوه ما رواه الكليني بسنده: عَنْ أَبَان، عَنْ فُضَيْلٍ وَ عُبَيْدٍ: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ، قَالَ: «لَمَّا حَضَرَ مُحَمَّدَ بْنَ أُسَامَةَ الْمَوْتُ، دَخَلَتْ عَلَيْهِ بَنُو هَاشِمٍ، فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمْ قَرَابَتِي وَمَنْزِلَتِيمِنْكُمْ، وَعَلَيَّ دَيْنٌ، فَأُحِبُّ أَنْ تَضْمَنُوهُ عَنِّي.

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام : أَمَا وَاللَّهِ ثُلُثُ دَيْنِكَ عَلَيَّ، ثُمَّ سَكَتَ وَسَكَتُوا، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام : عَلَيَّ دَيْنُكَ كُلُّهُ، ثُمَّ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام : أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَضْمَنَهُ[3] أَوَّلًا إِلَّا كَرَاهَةَ أَنْ يَقُولُوا: سَبَقَنَا»[4].

---

١ بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٧٧، ح ٨٨.

٢ مناقب آل أبي طالب: ابن شهر أشوب، ج٤، ص ١٧٧. سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٨١. صفة الصفوة: ج١، ص ٣٢٨. حلية الأولياء: ج ٢، ص ٤٢١. كشف الغمة: ج ٢، ص ٨١.

٣ في الوافي: +/ «كلّه».

٤ الكافي: ج ٨، ص ٣٣٢، ح ٥١٤. الوافي: ج ٣، ص ٧٦٦، ح ١٣٨٩؛ الوسائل: ج ١٨، ص ٤٢٣، ح ٢٣٩٦٧؛ بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٣٧، ح ٢٨.

وبذلك أزاح الإمام زين العابدين عليه السلام عن محمد بن أسامة ثقل الدين عن عاتقه وسدَّده عنه، مع أن هذا المبلغ في ذلك الزمان يعد مبلغًا كبيرًا جدًّا، لكن الإمام لم يتردد في دفعه عنه، وقضاء حاجته.

سادسا : الصبر والتحمل

الصبر والتحمل من أخلاقيات العمل التطوعي، فمن دون الصبر يفقد المتطوع الاتزان والحكمة عند ممارسته لأعمال التطوع، ولذا كان من دعاء الإمام زين العابدين أن يلهمه الله تعالى حسن الصبر في تعامله مع الفقراء، فقد روي عنه عليه السلام في دعائه: «اللَّهُمَّ حَبِّب إِلَيَّ صُحبَةَ الفُقَراءِ، وأعِنِّي عَلى صُحبَتِهِم بِحُسنِ الصَّبرِ»[1]. فالفقراء الذين تحسن إليهم قد يصدر من بعضهم كلمات غير لائقة بحق من أحسن إليهم!

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام في غاية الصبر والحلم والتحمل في التعامل مع المسيئين له، وقد جسَّد ذلك عملياً في حياته وسيرته المباركة في عدة مواقف، ومنها هذه القصة التي تكشف عن شدة تحمله وصبره وإحسانه لمن أساء إليه، فقد روي: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام خَارِجًا مِنَ الْمَسْجِدِ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَسَبَّهُ، فَثَارَتْ إِلَيْهِ الْعَبِيدُ وَالْمَوَالِي، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَهْلاً عَنِ الرَّجُلِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «مَا سُتِرَ عَنْكَ مِنْ أَمْرِنَا أَكْثَرُ!».

وأضاف قائلاً: «أَلَكَ حَاجَةٌ نُعِينُكَ عَلَيْهَا؟!».

فَاسْتَحْيَا الرَّجُلُ، وَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ خَمِيصَةً[2] كَانَتْ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ.

---

١ الصحيفة السجّاديّة: ص ١٢٢ الدعاء ٣٠.

٢ الخميصة: كساء أسود مربع له علمان.

قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ أَوْلَادِ الرُّسُلِ[1].

وفي هـذا درس عظيم لـكل العاملين في العمل التطوعي والخيري بأن يصبروا عـلى الـكلام الجـارح الذي قد يصدر مـن بعض الناس تجاه مـا يقومون به من أعمـال تطوعية ومناشـط خيرية واجتماعية، وأن يتحملـوا بأخلاق عالية وروح رياضيـة مشـاكل وصعوبات العمـل التطوعي والخيري حتى يسـتمروا في فعل الخـيرات، وتقديـم الخدمات التطوعيـة والخيرية للمجتمع.

١ كشف الغمة في معرفة الأئمة: ج٢، ص: ١٠١. بحار الأنوار: ج٤٦، ص: ٩٩، ح ٨٧.

أخلاقياته عليه السلام مع العلماء والمتعلمين

اهتَـمَّ الإمـام زيـن العابدين عليه السلام اهتمامًـا كبيرًا بنشر العلـم وتعليم الناس، وأدَّى دورًا كبـيًرا ومؤثـرًا في تنشـيط الحركـة العلميـة في منطقـة الحجـاز، وخصوصًـا في المدينـة ومـا حولهـا، وتعليـم النـاس علـوم الإسـلام ومعارفه، وكتابـة الحديـث وتدوينه، وتبيين تفسـير القرآن وتأويله، وبيـان فقه الشريعة وأحكامهـا؛ وذلـك بهـدف إعـداد جيـل مـن الفقهـاء والعلمـاء والـرواة، وبناء كفـاءات علميـة عاليـة، وبسـط العلـم في المجتمع.

وتفـرغ الإمـام عليه السلام بعـد رجوعـه إلى المدينة المنـورة واسـتقراره فيها إلى نـشر العلـوم الدينية، وبناء شـخصية الإنسـان المؤمن، والسـعي نحـو القضاء عـلى منابع الجهـل والتخلف، وصناعـة الوعي والبصيرة عند أصحابه وشـيعته وطلابـه ومريديه ومحبيه.

وأصبـح الإمـام عليه السلام في المدنيـة المنورة بعدما عاد إليها واسـتقر فيها منارًا للعلـم، ومنهـلاً للحكمـة، وينبوعًـا للعلـوم والمعـارف، ومقصدًا لطـلاب العلم والمعرفـة، ومرجعًـا للدين، وقـدوة للمؤمنـين، وإمامًـا للمتقين.

قال المرحوم العلامة الشيخ باقر شريف القرشي (رحمه الله) ما نصه:

«واتجـه الإمـام الأعظـم زين العابديـن عليه السلام - بعد كارثـة كربلاء - صوب العلـم لأنـه وجد فيه خير وسـيلة لأداء رسـالته الإصلاحية، كمـا وجد فيه خير ضمان لراحته النفسـية التي أذابتها كوارث كربلاء، وقد هرع للانتهال من بحر علمـه أبنـاء الصحابـة، والعلمـاء والفقهـاء، فأخـذ يغذيهـم بعلومـه ومعارفه ليكونوا منـارًا للعلم والأدب في العالم الإسـلامي.

لقـد انـبرى الإمـام عليه السلام إلى إنـارة الفكر العربي والإسـلامي بشـتى أنواع العلوم والمعارف، وقد دعا ناشـئة المسـلمين إلى الإقبال عـلى طلب العلم، وحثهم

عليه، وقد مجَّد طلابه، وأشاد بحملته، وقد نمت ببركته الشجرة العلمية المباركة التي غرسها جده الرسول الأعظم (صلَّى الله عليه وآله)، فأقبل الناس - بلهفة - على طلب العلم ودراسته؛ فكان حقًّا من ألمع المؤسسين للكيان العلمي والحضاري في دنيا الإسلام»[1].

ويضيف القرشي قائلًا: «أما الثروات الفكرية والعلمية التي أُثرت عن الإمام زين العابدين عليه السلام فإنها تمثِّل الإبداع والانطلاق والتطور، ولم تقتصر على علم خاص، وإنما شملت الكثير من العلوم كعلم الفقه، والتفسير، وعلم الكلام، والفلسفة، وعلوم التربية والاجتماع، وقد عني بصورة خاصة بعلم الأخلاق، واهتم به اهتمامًا بالغًا، ويعود السبب في ذلك إلى أنه رأى انهيار الأخلاق الإسلامية، وابتعاد الناس عن دينهم من جراء الحكم الأموي الذي حمل معول الهدم على جميع القيم الأخلاقية؛ فانبرى عليه السلام إلى إصلاح المجتمع وتهذيب أخلاقه»[2].

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام -وهو صاحب الأخلاق الرفيعة- يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله يعلِّم ويدرِّس العلوم الدينية لطلاب الفقه والتفسير والحديث والكلام وغيرها من علوم ومعارف الإسلام، وكان يحضرها كبار الصحابة والتابعين وغيرهم من الفقهاء والعلماء الذين وجدوا في الإمام ضالتهم لأخذ العلم من مصدره وينبوعه الذي لا ينضب.

أخلاقيات الإمام زين العابدين عليه السلام العلمية

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يحبب إلى الناس العلم، ويحث عليه، ويرغب فيه؛ وكان يمزج ذلك بأخلاقه الفاضلة، وتعامله الإنساني الراقي،

---

١ موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين عليه السلام : ج ١٥، ص ١٢.

٢ موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين عليه السلام : ج ١٥، ص ١٢ – ١٣.

وسيرته الأخلاقية العملية التي قلَّ نظيرها؛ فكان يحترم العلماء وطلاب العلم، ويرحب بهم، ويحتفي بقدومهم، بهدف التشجيع على طلب العلم واكتساب المعرفة.

ومن أجل بيان أخلاقيات الإمام عليه السلام في هذا الجانب المهم، نوجز الكلام في النقاط الآتية:

أولًا- تمجيد العلم

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يمجد العلم، ويشيد بفضله، ويحث على طلبه، وكان يقول: «لَو يَعلَمُ النّاسُ ما في طَلَبِ العِلمِ لَطَلَبوهُ ولَو بِسَفكِ المُهَجِ[1] وخَوضِ اللُّجَجِ[2]»[3]؛ لما للعلم من الشرف والفضل والكمال، وبه ينال الإنسان خير الدنيا والآخرة، فإذا علم الإنسان بعين البصيرة فضل العلم وقيمته فإنه يكون مستعدًا لتحمل المشاق والصعاب والمكاره من أجل طلبه والتزين به.

وروي عنه عليه السلام أيضًا أنه قال: «إنَّ طالِبَ العِلمِ إذا خَرَجَ مِن مَنزِلِهِ لَم يَضَع رِجلَهُ عَلى رَطبٍ ولا يابِسٍ مِنَ الأَرضِ إلّا سَبَّحَت لَهُ إلَى الأَرَضينَ السّابِعَةِ»[4].

وكان يدعو إلى التمسك بناصية العلم، والتحلي بالبصيرة والفهم والوعي، فيقول عليه السلام: «اللّهمَّ... اجعَلْنا مِن الّذينَ تَمَسّكُوا بعُرْوَةِ العِلمِ وأدَّبُوا أنفسَهُم بالفَهمِ»[5].

---

١ المُهجة: دمُ القلب، ولا بقاء للنَّفْس بعد ما تُراق مُهجتُها (لسان العرب: ج ٢ ص ٣٧٠).

٢ التجَّ الأمر: إذا عَظُم واختلط، ولُجَّة البحر: مُعظَمُه (النهاية: ج ٤ ص ٢٣٣).

٣ الكافي: ج ١ ص ٣٥ ح ٥ عن أبي حمزة، منية المريد: ص ١١١، عوالي اللآلي: ج ٤ ص ٦١ عن الإمام الصادق عليه السلام وفيه صدره إلى «اللجج»، بحارالأنوار: ج ١ ص ١٨٥ ح ١٠٩.

٤ الخصال: ص ٥١٨ ح ٤ عن حمران بن أعين عن الإمام الباقر عليه السلام، بحارالأنوار: ج ١ ص ١٦٨ ح ١٦.

٥ بحار الأنوار: ٩١/ ١٢٧/ ١٩.

ولأن العلـم نـور والجهل ظلام، العلم حيـاة والجهل مـوت، ولأن أي تقدم لأي مجتمـع لا يمكن تحقيقه إلا بالعلـم؛ كان الإمام عليه السلام يدعو الناس إلى التعلم والأخذ بأسـباب العلم والمعرفة، والعمل بما يعلمون، فقد روي عنه عليه السلام أنه قال: «العِلمُ دَليـلُ العَمَـلِ، وَالعَمَـلُ وِعـاءُ الفَهـم»[1].

وكان من دعائه عليه السلام : «ثُمَّ اسـتَعمِلني بِما تُلهِمُني مِنهُ، ووَفِّقني لِلنُّفوذِ فيما تُبَصِّرُنـي مِـن عِلمِهِ، حَتّى لا يَفوتَنِي اسـتِعمالُ شَيءٍ عَلَّمتَنيـهِ، ولا تَثقُلَ أركاني عَنِ الحُفوفِ فيمـا ألهَمتَنيهِ»[2].

فالعلـم مـن دون عمـل لا يكفي، كمـا أن العمل من دون علم لا يوصل الإنسـان إلى التقدم والتطور، وحتى نصنع الوعي الاجتماعي والتقدم الحضاري للأمة يجب الجمع بين العلم والعمل.

ولـذا روي عـن الإمـام زين العابديـن عليه السلام أنه قـال: «مَكتـوبٌ في الإنجيلِ: لا تَطلُبـوا عِلـمَ مـا لا تَعمَلـونَ ولَمّا عَمِلتُـم بِما عَلِمتُـم؛ فإنَّ العِلـمَ إذا لَم يُعمَـلْ بِه لَم يَـزدَدْ مِـنَ اللَّـهِ إلّا بُعـدًا»[3].

ثانيًا- توقير المعلم والرفق بالمتعلم

أشـار الإمـام زيـن العابدين عليه السلام إلى مـا ينبغي أن يتحلى به أهـل العلم من صفـات وآداب وأخـلاق، وكان يحث على التواضع للعلم، ونكـران الذات، وعدم التكـبر عـلى المتعلمـين عنده، فقـد روي عنـه عليه السلام أنه قـال: «أمّا حَـقُّ رَعِيَّتِكَ بِالعِلـمِ، فَـأَنْ تَعلَـمَ أنَّ اللَّـهَ عـز وجـل إنَّمـا جَعَلَـكَ قَيِّمًـا لَهُـم فيمـا آتـاكَ مِنَ العِلـمِ وفَتَـحَ لَـكَ مِـن خَزائِنِهِ، فَـإن أحسَـنتَ في تَعليمِ النّـاسِ ولَم تَخـرُق بِهِم

---

١ أعلام الدين: ص ٩٦.

٢ الصحيفة السجّاديّة: ص ١٠١ الدعاء ٢٤.

٣ بحار الأنوار: ٢/ ٢٨/ ٦.

ولَـم تَضجَـر عَلَيهِـم زادَكَ اللَّـهُ مِـن فَضلِـهِ، وإن أنـتَ مَنَعـتَ النّـاسَ عِلمَكَ أو خَرَقـتَ بِهِـم عِنـدَ طَلَبِهِـمُ العِلـمَ مِنـكَ كانَ حَقًّا عَـلَى اللَّهِ عـز وجل أن يَسـلُبَكَ العِلـمَ وبَهـاءَهُ ويُسـقِطَ مِـنَ القُلـوبِ مَحَلَّـكَ»[1].

وعـن تعليـم الصغير قال الإمام زين العابديـن عليه السلام : «حَقُّ الصَّغيرِ رَحمَتُهُ في تَعليمِـهِ وَالعَفـوُ عَنـهُ وَالسَّـترُ عَلَيـهِ وَالرِّفـقُ بِـهِ وَالمَعونَةُ لَـهُ»[2].

وكان عليه السلام يدعـو إلى نـشر العلـم وعـدم كتمانه وإلى مجانيـة التعليم، فكان يقـول: «مَـنْ كَتَـمَ عِلْمًـا أَحَـدًا أَوْ أَخَـذَ عَلَيْـهِ صَفَـدًا[3] فَـلاَ نَفَعَـهُ أَبَـدًا»[4]. وعنـه عليه السلام قـال: «مَـن كَتَـمَ عِلمًـا أحَـدًا، أو أخَـذَ عَلَيـهِ أجـرًا رِفـدًا، فَـلا يَنفَعُهُ أبَـدًا»[5].

ويستفاد من كلام الإمام عليه السلام عدة أمور أخلاقية وآداب معنوية، منها: حسن الخلق، التواضع العلمي، أن يكون المعلم قدوة لطلابه، الرحمة والرفق بالمتعلم ومعاونته والعفو عن زلاته، بذل العلم لطالبه وعدم كتمانه، عدم الضجر من تعليم المتعلمين، الابتعاد عن المفاخرة والمراء والعجب، صيانة العلم من الابتذال، بدء الدرس بموعظة أو حكمة قصيرة ومعبرة.

وذكر الإمام عليه السلام أيضًا حقوق المعلِّم على المتعلِّم، فقد روي عنه عليه السلام أنه قال: «حَقُّ سائسِكَ بِالعِلمِ: التَّعظيمُ لَهُ، والتَّوقيرُ لِمَجلِسِهِ، وحُسنُ الاستِماعِ إلَيهِ، والإقبالُ عَلَيهِ، وأن

١ كتـاب مـن لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٢١ ح ٣٢١٤، الخصال: ص ٥٦٧ ح ١ كلاهما عن أبـي حمـزة الثمالي (ثابت بن دينار)، عوالي الـلآلي: ج ٤ ص ٧٤ ح ٥٤، بحارالأنوار: ج ٢ ص ٦١ ح ٢.

٢ كتـاب مـن لا يحضره الفقيـه: ج ٢ ص ٦٢٥ ح ٣٢١٤ عن ثابت بـن دينار، تحف العقول: ص ٢٧٠ ح ٤٤ وزاد فيـه «وتثقيفـه»، بحارالأنـوار: ج ٧١ ص ٩ ح ١.

٣ الصفد -محركة-: العطاء.

٤ كشف الغمة: ج ٢، ص ١٠٣.

٥ حلية الأولياء: ج ٣ ص ١٤٠ عن موسى بن أبي حبيب.

لا تَرفَعَ عَلَيهِ صَوتَكَ، وأن لا تُجيبَ أَحَداً يَسأَلُهُ عَن شَيءٍ حَتّى يَكونَ هُوَ الّذي يُجيبُ، ولا تُحَدِّثَ في مَجلسِهِ أَحَدًا، ولا تَغتابَ عِندَهُ أَحَدًا، وأن تَدفَعَ عَنهُ إذا ذُكِرَ عِندَكَ بِسُوءٍ، وأن تَستُرَ عُيوبَهُ، وتُظهِرَ مَناقِبَهُ، ولا تُجالِسَ لَهُ عَدُوًّا، ولا تُعادِيَ لَهُ وَلِيًّا، فإذا فَعَلتَ ذلكَ شَهِدَ لَكَ مَلائكَةُ اللَّهِ بِأَنَّكَ قَصَدتَهُ وتَعَلَّمتَ عِلْمَهُ لِلَّهِ جَلَّ اسمُهُ لا لِلنّاسِ»[1].

وروي عنه عليه السلام -في رِوايَةٍ أخرى- أنه قال: «أمّا حَقُّ سائِسكَ بِالعِلمِ: فَالتَّعظيمُ لَهُ، وَالتَّوقيرُ لِمَجلِسِهِ، وحُسنُ الاستِماعِ إلَيهِ، وَالإقبالُ عَلَيهِ، وَالمَعونَةُ لَهُ عَلى نَفسِكَ فيما لا غِنى بِكَ عَنهُ مِنَ العِلمِ، بِأَن تُفَرِّغَ لَهُ عَقلَكَ، وتُحَضِّرَهُ فَهمَكَ، وتُزَكِّيَ لَهُ قَلبَكَ، وتُجَلِّيَ لَهُ بَصَرَكَ بِتَركِ اللَّذّاتِ ونَقصِ الشَّهَواتِ، وأن تَعلَمَ أَنَّكَ فيما أَلقى إلَيكَ رَسولُهُ إلى مَن لَقِيَكَ مِن أهلِ الجَهلِ، فَلَزِمَكَ حُسنُ التَّأدِيَةِ عَنهُ إلَيهِم، ولا تَخُنهُ في تَأدِيَةِ رِسالَتِهِ وَالقِيامِ بِها عَنهُ إذا تَقَلَّدتَها»[2].

والمستفاد من كلامه عليه السلام أن للمعلم مجموعة من الحقوق على المتعلم، منها: توقير المعلم وتعظيمه، أن يكون وفيًّا لأستاذه فلا يقبل النيل منه أو اغتيابه أو إفشاء أسراره وخصوصياته، حسن الاستماع والإقبال عليه، ألَّا يرفع صوته عليه، أن لا تجيب بدلًا عنه، ألَّا تحدث أحدًا في مجلسه، وألَّا تغتاب عنده أحدًا، أن تظهر مناقبه وتستر معايبه، وألَّا تجالس له عدوًّا ولا تعادي له صديقًا، وأن تتواضع للعلم والمعلم.

ودعا الإمام عليه السلام إلى تحلي المتعلم بصفات مهمة: كالحرص على التعلم والفهم، والحلم، والصمت، والانتباه للمطالب العلمية كي يستوعبها، فقد روي عنه عليه السلام أنه قال: «المؤمنُ خلَطَ علمَهُ بالحِلْمِ، يجلِسُ لِيَعْلمَ، ويَنْصِتُ لِيَسْلمَ، ويَنْطِقُ لِيَفْهمَ، لا يُحَدِّثُ أمانَتَهُ الأصدقاءَ»[3].

---

١ الخصال: ٥٦٧/ ١.

٢ تحف العقول: ج ٢٦٠ ص ١٥، بحارالأنوار: ج ٧١ ص ١٣ ح ٢.

٣ بحار الأنوار: ٦٤/ ٢٩١/ ١٤.

ثالثًا- إكرام العالم واحترامه

لأهمية العالم في المجتمع، وموقعيته المتقدمة في نفع الناس بالعلم والمعرفة، ينبغي إكرامه وعدم الاستخفاف به، لما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «إنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وتَعالى أوحى إلى دانِيالَ: إنَّ أمقَتَ عَبيدي إلَيَّ الجاهِلُ المُستَخِفُّ بِحَقِّ أهلِ العِلمِ، التّارِكُ لِلاقتِداءِ بِهِم»[1].

وإذا كان أمقت الناس إليه المستخف بأهل العلم فإن أحب الناس إليه الملازم لهم، والتابع للحلماء، لما ورد عنه عليه السلام أنه قال: «إنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وتَعالى أوحى إلى دانِيالَ:... إنَّ أحَبَّ عَبيدي إلَيَّ التَّقِيُّ الطّالِبُ لِلثَّوابِ الجَزيلِ، اللّازِمُ لِلعُلَماءِ، التّابِعُ لِلحُلَماءِ، القابِلُ عَنِ الحُكَماءِ»[2].

وكان الإمام عليه السلام يُكرِّم طلاب العلم، ويرحب بهم، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «كان أبي زين العابدين عليه السلام إذا نظر إلى الشباب الّذين يطلبون العلم أدناهم إليه، وقال: مرحبًا بكم، أنتم ودائع العلم، ويوشك إذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين»[3].

وكان إذا جاءه طالب علم قال: «مرحبًا بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله [4] في إشارة منه إلى وصية رسول الله صلى الله عليه وآله بإكرام العلماء الربانيين واحترامهم وتوقيرهم وتعظيمهم وإجلالهم.

وجذب الإمام عليه السلام بأخلاقه الفاضلة وعلومه الغزيرة كبار الفقهاء والعلماء من مختلف المذاهب الإسلامية إلى حضور مجلسه العلمي، وكانوا يحرصون

---

١ الكافي: ج ١ ص ٣٥ ح ٥ عن أبي حمزة، بحارالأنوار: ج ١ ص ١٨٥ ح ١٠٩.

٢ الكافي: ج ١ ص ٣٥ ح ٥ عن أبي حمزة، منية المريد: ص ١١١، بحارالأنوار: ج ١ ص ١٨٥ ح ١٠٩.

٣ الدر النظيم: يوسف بن حاتم الشامي المشغري العاملي، ص ٥٨٧.

٤ الخصال: الشيخ الصدوق، ص ٥١٨.

على الاستماع إليه جيدًا كي يستفيدوا من دروسه ومحاضراته وفوائده العلمية في مختلف العلوم والمعارف الإسلامية.

رابعًا- التحذير من علماء السوء

يعد العلماء الصالحون من أركان الحفاظ على الدين من التحريف والتزييف والتدليس والتشويه؛ فهم حماة الإسلام، وسدنة الشرع والقيم، ولهم تأثير بالغ على الناس، لأنهم يرمزون إلى الدين، ويمثلونه خير تمثيل.

وأما العلماء الفاسدون فهم أخطر شيء على الإسلام، لأنهم يتلاعبون بقيم الدين وأحكامه، ويفسرون مفاهيم الإسلام وتعاليمه بحسب أهوائهم ومصالحهم الدنيوية والمادية، ويتعاملون مع الدين بوصفه وسيلة للارتزاق والحصول على المغانم الدنيوية.

ولذا نجد التحذير الشديد من علماء السوء لخطرهم الكبير على الدين والمجتمع والأمة، فقد روي عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله : «شَرُّ النّاسِ عُلَماءُ السَّوءِ»[1]، وعنه صلى الله عليه وآله : «شرارُ النّاسِ شرارُ العُلَماءِ في النّاسِ»[2]، وعنه صلى الله عليه وآله : «يَأتي عَلَى النّاسِ زَمانٌ... عُلَماؤُهُم وفُقَهاؤُهُم خَوَنَةٌ فَجَرَةٌ، ألا إنَّهُم أشرارُ خَلقِ اللّهِ، وكَذلِكَ أتباعُهُم ومَن يَأتيهِم ويَأخُذُ مِنهُم ويُحِبُّهُم ويُجالِسُهُم ويُشاوِرُهُم أشرارُ خَلقِ اللّهِ»[3].

وقيلَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله : أيُّ النّاسِ شَرٌّ؟

قالَ: «العُلَماءُ إذا فَسَدوا»[4].

وروي عن الإمام عليّ عليه السلام : «لا خَيرَ فِي الكَذّابينَ ولا فِي العُلَماءِ

١ تنبيه الخواطر: ج ١ ص ٢٢٠، منية المريد: ص ١٥٣.

٢ الفردوس: ج ٢ ص ٣٧٠ ح ٣٦٥٢، كنزالعمّال: ج ١٠ ص ١٩١ ح ٢٩٠٠٦.

٣ مكارم الأخلاق: ج ٢ ص ٣٤٦ ح ٢٦٦٠ عن ابن مسعود، بحارالأنوار: ج ٧٤ ص ٩٨ ح ١.

٤ تحف العقول: ص ٣٥، نثر الدرّ: ج ١ ص ١٥٣، بحارالأنوار: ج ٧٤ ص ١٣٨ ح ٧.

الأَفّاكـــَين»[1]، وعنـــه عليه السلام : «زَلَّـــةُ العالِـــمِ كَانكِســـارِ السَّـــفينَةِ؛ تَغـــرَقُ وتُغـــرِقُ»[2]، وعنـــه عليه السلام : «زَلَّـــةُ العالِـــمِ تُفسِـــدُ عَوالِـــمَ»[3].

ومن أشـد علماء السـوء سـوءًا الذين يكونون في خدمة حكام الظلم والجور، ويزيِّنـون لهـم أعمالهـم الظالمـة، ويفتـون لهـم بحسـب طلباتهـم ورغباتهـم، ويعينونهـم على ظلمهم وجورهم للناس، فقـد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنَّ عَلِيًّـا عليه السلام قـالَ: إنَّ في جَهَنَّـمَ رَحـى تَطحَـنُ، أفَلا تَسـأَلوني مـا طَحنُها؟».

فَقيلَ: وما طَحنُها يا أميرَ المُؤمِنينَ؟

فَقـالَ عليه السلام : «العُلَمـاءُ الفَجَـرَةُ، وَالقُرّاءُ الفَسَـقَةُ، وَالجَبابِرَةُ الظَّلَمَـةُ، وَالوُزَراءُ الخَوَنَـةُ، وَالعُرَفـاءُ الكَذَبَةُ»[4].

بدأ الإمام بالعلماء الفجرة لأنهم أشـد خطرًا على الدين والأمة من سـواهم، فهم يتحدثون باسم الدين، ويضلون الناس باسمه أيضًا، ويعطون شرعية دينية لحكام الظلم والجور؛ ولذا يحرصون أشد الحرص على تعيين علماء يستجيبون لمطالبهم، ويفتون لهم بحسب رغباتهم!

والقـارئ للتاريـخ يجد أن حكام بني أمية المعروفين بالظلم والجور والقسـوة والاسـتبداد كانـوا يقربـون إليهم علماء السـوء، ويجزلـون لهم العطايـا والهدايا النفيسة، ويغدقون عليهم الأموال الوفيرة، لأنهم يعطونهم الغطاء الديني لحكمهم

---

١ غرر الحكم: ح ١٠٨٨٣، عيون الحكم والمواعظ: ص ٥٣٥ ح ٩٨١٢.

٢ كنـز الفوائـد: ج ١ ص ٣١٩، غـرر الحكم: ح ٥٤٧٤، المناقب لابن شهرآشـوب: ج ١ ص ٤ عن الإمام الباقر عليه السلام ، بحارالأنوار: ج ٢ ص ٥٨ ح ٣٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص ٣٤٣ ح ٩٤٦.

٣ غرر الحكم: ح ٥٤٧٢، عيون الحكم والمواعظ: ص ٢٧٦ ح ٥٠٢٤.

٤ ثـواب الأعمـال: ص ٣٠٢ ح ١، الخصـال: ص ٢٩٦ ح ٦٥، أعـلام الديـن: ص ٩٦، روضة الواعظـين: ص ٥٥٦، بحارالأنـوار: ج ٨ ص ٣١١ ح ٧٨.

الظالم فيعطونهم ما أحبوا من الدنيا وزينتها.

وحذَّر الإمام زين العابدين عليه السلام من الاغترار بعلماء الدنيا والأهواء والأمزجة الشخصية، الذين يتاجرون باسم الدين من أجل تحقيق أهدافهم الدنيوية ومصالحهم المنفعية، فهؤلاء ضررهم على الدين جسيم، وخطرهم عظيم.

نقرأ هذا النص المهم للإمام زين العابدين عليه السلام الذي يحذر فيه من الاغترار بالمظاهر الشكلية لعلماء السوء والمتاجرين بالدين من أجل الدنيا، إذ روي عنه عليه السلام أنه قال:

«إذا رَأَيتُمُ الرَّجُلَ قَد حَسُنَ سَمتُهُ وهَديُهُ، وتَماوَتَ في مَنطِقِهِ، وتَخاضَعَ في حَرَكاتِهِ، فَرُوَيدا لا يَغُرَّنَّكُم! فَما أكثَرَ مَن يُعجِزُهُ تَناوُلُ الدُّنيا ورُكوبُ الحَرامِ مِنها لِضَعفِ نِيَّتِهِ ومَهانَتِهِ وجُبنِ قَلبِهِ، فَنَصَبَ الدّينَ فَخّا لَها، فَهُوَ لا يَزالُ يَختِلُ النّاسَ بِظاهِرِهِ، فَإِن تَمَكَّنَ مِن حَرامٍ اقتَحَمَهُ!».

ومن مظاهر علماء الدنيا حبهم للرئاسة والزعامة الدنيوية، إذ يضيف الإمام قائلاً: «وإذا وَجَدتُموهُ يَعِفُّ عَنِ المالِ الحَرامِ فَرُوَيدا لا يَغُرَّنَّكُم! فَإِنَّ شَهَواتِ الخَلقِ مُختَلِفَةٌ؛ فَما أكثَرَ مَن يَنبو عَنِ المالِ الحَرامِ وإن كَثُرَ، ويَحمِلُ نَفسَهُ عَلى شَوهاءَ قَبيحَةٍ فَيَأتي مِنها مُحَرَّمًا! فَإِذا وَجَدتُموهُ يَعِفُّ عَن ذلِكَ فَرُوَيدا لا يَغُرَّكُم! حَتّى تَنظُروا ما عَقَدَهُ عَقلُهُ، فَما أكثَرَ مَن تَرَكَ ذلِكَ أجمَعَ، ثُمَّ لا يَرجِعُ إلى عَقلٍ مَتينٍ، فَيَكونُ ما يُفسِدُهُ بِجَهلِهِ أكثَرَ مِمّا يُصلِحُهُ بِعَقلِهِ؟ فَإِذا وَجَدتُم عَقلَهُ مَتينًا فَرُوَيدا لا يَغُرَّكُم! حَتّى تَنظُروا أمَعَ هَواهُ يَكونُ عَلى عَقلِهِ؟ أو يَكونُ مَعَ عَقلِهِ عَلى هَواهُ؟ وكَيفَ مَحَبَّتُهُ لِلرِّئاساتِ الباطِلَةِ وزُهدُهُ فيها؟ فَإِنَّ فِي النّاسِ مَن خَسِرَ الدُّنيا وَ الآخِرَةَ؛ بِتَركِ الدُّنيا لِلدُّنيا، ويَرى أنَّ لَذَّةَ الرِّئاسَةِ الباطِلَةِ أفضَلُ مِن لَذَّةِ الأَموالِ وَالنِّعَمِ المُباحَةِ المُحَلَّلَةِ، فَيَترُكُ ذلِكَ أجمَعَ طَلَبًا لِلرِّئاسَةِ، حَتّى

إذا قيلَ لَهُ: اتَّقِ اللّهَ، أخَذَتهُ العِزَّةُ بالإثمِ، فَحَسبُهُ جَهَنَّمُ ولَبِئسَ المِهادُ! فَهُوَ يَخبِطُ خَبطَ عَشواءَ، يَقودُهُ أوَّلُ باطِلٍ إلى أبعَدِ غاياتِ الخَسارَةِ، ويُمِدُّهُ رَبُّهُ بَعدَ طَلَبِهِ لِما لا يَقدِرُ عَلَيهِ فِي طُغيانِهِ، فَهُوَ يُحِلُّ ما حَرَّمَ اللّهُ، ويُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللّهُ، لا يُبالي بِما فاتَ مِن دينِهِ إذا سَلِمَت لَهُ رِئاسَتُهُ الَّتي قَد شَقِيَ مِن أجلِها، فَأُولئِكَ الَّذينَ غَضِبَ اللّهُ عَلَيهِم ولَعَنَهُم وأعَدَّ لَهُم عَذابًا مُهينًا».

وفي ختام كلامه يبين الإمام عليه السلام مواصفات العالم الرباني الذي ينبغي الاقتداء به، ويجوز تقليده، فيقول: «ولكِنَّ الرَّجُلَ كُلَّ الرَّجُلِ نِعمَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذي جَعَلَ هَواهُ تَبَعا لِأَمرِ اللّهِ، وقُواهُ مَبذولَةً في رِضَا اللّهِ؛ يَرَى الذُّلَّ مَعَ الحَقِّ أقرَبَ إلى عِزِّ الأَبَدِ مِنَ العِزِّ في الباطِلِ، و يَعلَمُ أنَّ قَليلَ ما يَحتَمِلُهُ مِن ضَرّائِها يُؤَدّيهِ إلى دَوامِ النَّعيمِ في دارٍ لا تَبيدُ ولا تَنفَدُ، وأنَّ كَثيرَ ما يَلحَقُهُ مِن سَرّائِها إنِ اتَّبَعَ هَواهُ يُؤَدّيهِ إلى عَذابٍ لَا انقِطاعَ لَهُ ولا زَوالَ. فَذلِكُمُ الرَّجُلُ نِعمَ الرَّجُلُ؛ فَبِهِ فَتَمَسَّكوا، وبِسُنَّتِهِ فَاقتَدوا، وإلى رَبِّكُم بِهِ فَتَوَسَّلوا؛ فَإِنَّهُ لا تُرَدُّ لَهُ دَعوَةٌ، ولا تُخَيَّبُ لَهُ طَلِبَةٌ»[1].

الزهري أنموذجًا

كان ابن شهاب الزهري (عالم السلطة الأموية في الحجاز والشام) من تلامذة الإمام زين العابدين عليه السلام ، وقد جالسه كثيرًا وتعلم منه الكثير، وكان يثني على الإمام ثناءً كبيرًا؛ ولكن الدنيا غرته، والأموال الوفيرة جذبته ليكون في خدمة بني أمية والقاضي لهم، فتوجه نحو دمشق عاصمة الخلافة الأموية في عهد عبدالملك بن مروان، فأعجب به فقربه إليه وأكرمه، وعيَّن له راتبًا مجزيًا،

---

١ الاحتجاج: ج ٢ ص ١٥٩ ح ١٩٢، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكرى عليه السلام : ص ٥٣ ح ٢٧.

وقـضى ديونـه، وأعطاه خادمًا، ليبـدأ الزهري مرحلة جديـدة في حياته، ويكون مـن المقربين والندماء للحاكـم الأموي عبدالملك بن مروان.

وعرَّفه به شـخص يدعـى "قبيصة بن ذؤيب"، فقد كتب ابن سـعد ما نصه: «وكان قبيصـة بـن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي من بنـي قمير على خاتم عبدالملك بـن مـروان، وهـو أدخل الزهـري على عبدالملك بـن مروان، ففـرض له ووصله وصار من أصحابه»[1].

وتوثقـت مع مـرور الأيام علاقة الزهري بالحكام الأمويـين، وأصبح من أكثر العلمـاء قربًـا منهـم، خصوصًـا بعدمـا ذاق حـلاوة العيش في البـلاط الأموي، وعـاش حياة الدعـة والرفاهية والترف والراحة عند الحـكام، فظل قريبًا منهم، فلمـا مـات عبدالملـك أصبـح مقربًـا عنـد أبنائه أيضًـا: الوليـد، سـليمان، يزيد، هشـام.

وولَّاه يزيـد بـن عبدالملك منصب القضاء، وجعله هشـام بـن عبدالملك معلمًا خاصًّـا لأولاده حتى وافته المنية، وكان يحظى بمعاملة خاصة، واحترام وتقدير كبيرين من قبل الحكام الأمويين[2].

وكان يتنقـل مع هشـام بن عبدالملك في رحلاته؛ ما يعنـي أنه كان مقربًا جدًّا منه، وسـدَّد عنه جميع ديونه البالغة ثمانين ألف درهم[3].

وطابـت للزهـري حياة الرفاهية والدعة والعيش الرغيـد في القصور الأموية لدرجـة أنـه حينما قالوا له: لو أنـك الآن في آخر عمرك أقمت بالمدينة، فقعدت إلى مسـجد رسـول الله ﷺ، ودرجت وجلسـنا إلى عمود من أعمدته، فذكرت الناس

---

١ الطبقات الكبرى: ابن سعد، ج ٧، ص ٤٤٧.

٢ البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٩، ص ٣٤١.

٣ الطبقات الكبرى: ابن سعد، ج ٧، ص ٤٧٤. البداية والنهاية: ج ٩، ص ٣٤٣.

وعلمتهم؟

فقـال: «لـو أنـي فعلت ذلك لوطئ عقبـي، ولا ينبغـي لي أن أفعل ذلك حتى أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة!»[1].

علاقة الزهري بالإمام زين العابدين

كان للزهري علاقة بالإمام زين العابدين عليه السلام ، فعندما كان مقيمًا في المدينة كان يحضر دروس الإمام، ويتلقى منه العلوم والمعارف، ولكن عندما توجه صوب دمشق، وأصبح من المقربين إلى الحكام الأمويين، وبسبب انغماسه في البلاط الأموي، حتى أصبح من كبار علماء القصر الأموي، حاول الإمام بكل الوسائل والأساليب المختلفة أن يبعده عن هذا المنزلق الخطير؛ فاتبع معه تارة أسلوب الموعظة والنصيحة، وتارة ثانية أسلوب التخويف من العاقبة السيئة ومن نار جهنم، وتارة ثالثة أسلوب المصارحة وبيان أخطائه الكبيرة، فلعل وعسى أن يرتدع عن ارتباطه الوثيق بالأمويين ويبتعد عنهم؛ ولكن شهوة المال والسلطة والشهرة أعمت بصيرته وختمت على قلبه.

وكان من الأساليب التربوية والأخلاقية التي اتبعها الإمام معه الأمور الآتية:

اولا : إسماعه المواعظ والعبر

كان الإمام يذم الدنيا وما فيها أمامه، ويسمعه المواعظ والعبر، عسى أن يتأثر بالموعظة، فقد قال الزهري: سمعت علي بن الحسين سيد العابدين يحاسب نفسه ويناجي ربه، ويقول:

«يَا نَفْسُ حَتَّامَ إِلَى الْحَيَاةِ سُكُونُكِ، وَإِلَى الدُّنْيَا رُكُونُكِ، أَمَا اعْتَبَرْتِ بِمَنْ مَضَى فِي أَسْلَافِكِ وَمَنْ وَارَتْهُ الْأَرْضُ مِنْ أُلَّافِكِ، ومَنْ فُجِّعْتِ بِهِ مِنْ إِخْوَانِكِ؟!»[2].

---

١ البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٩، ص ٣٨٠.

٢ مناقـب آل أبـي طالب عليهم السلام : ابن شهرآشـوب، ج٤، ص: ١٥٢. بحـار الأنوار: ج٤٦، ص:

وروى الكليني بسنده: عَنِ الزُّهْرِي مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ:

سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

فَقَالَ: «مَا مِنْ عَمَلٍ بَعْدَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ -جَلَّ وَ عَزَّ- وَمَعْرِفَةِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله أَفْضَلَ مِنْ بُغْضِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ لِذلِكَ لَشُعَبًا[1] كَثِيرَةً، وَلِلْمَعَاصِي شُعَبًا، فَأَوَّلُ مَا عُصِيَ اللَّهُ بِهِ الْكِبْرُ،... ثُمَّ الْحَسَدُ، وَهِيَ مَعْصِيَةُ ابْنِ آدَمَ حَيْثُ حَسَدَ أَخَاهُ، فَقَتَلَهُ، فَتَشَعَّبَ مِنْ ذلِكَ حُبُّ النِّسَاءِ، وَحُبُّ الدُّنْيَا، وَحُبُّ الرِّئَاسَةِ، وَحُبُّ الرَّاحَةِ، وَحُبُّ الْكَلَامِ، وَحُبُّ الْعُلُوِّ وَالثَّرْوَةِ، فَصِرنَ سَبْعَ خِصَالٍ، فَاجْتَمَعْنَ كُلُّهُنَّ فِي حُبِّ الدُّنْيَا، فَقَالَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ بَعْدَ مَعْرِفَةِ ذلِكَ: حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ؛ وَالدُّنْيَا دُنْيَاءَانِ: دُنْيَا بَلَاغٍ[2]، وَدُنْيَا مَلْعُونَةٍ»[3].

ثانيا : التوجيه الخاص

قال المدائني: قارف الزهري ذنبًا استوحش منه، وهام على وجهه، فقال له علي بن الحسين: «يا زهري، قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شي أعظم عليك من ذنبك».

.٨٢

١ في المرآة: «وأنّ لذلك، أي لبغض الدنيا لشعباً، أي من الصفات الحسنة والأعمال الصالحة. وهي ضدّ شعب المعاصي، كالتواضع مع الكبر، والقنوع مع الحرص، والرضا بما آتاه اللَّه مع الحسد».

٢ في المرآة: «دنيا بلاغ، أي تبلغ به إلى الآخرة ويحصل بها مرضاة الربّ تعالى، أو تكون بقدر الضرورة والكفاف؛ فالزائد عليها ملعونة، أي ملعون صاحبها، فالإسناد على المجاز؛ أو هي ملعونة، أي بعيدة من اللَّه ومن الخير والسعادة».

٣ الكافي: ج ٢، ص ١٣٠، ح ١١. الخصال: ص ٢٥، باب الواحد، ح ٨٧، الوافي: ج ٤، ص ٣٩٢، ح ٢١٧٦؛ و ج ٥، ص ٨٩٢، ح ٣٢٣٨؛ البحار: ج ٧٠، ص ٥٩، ح ٢٩.

فقال الزهري: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ﴾[1] فرجع إلى ماله وأهله[2].

وكان يقول - بعد ذلك -: «علي بن الحسين أعظم الناس علَّي منَّة»[3].

ثالثا : التصغير والتهوين

عندما كان الزهري وعروة بن الزبير ينالان من الإمام علي عليه السلام ، بلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فجاء حتى وقف عليهما، وقال: «أما أنت يا عروة، فإن أبي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي على أبيك. وأما أنت يا زهري، فلو كنت بمكة لأريتك كبر أبيك»[4].

رابعا : التكذيب لتملقاته

كان الزهري يتملق للأمويين، ويصفهم بأوصاف باطلة، وكان الإمام يكذب تملقه وتزلفه لحكام بني أمية، كي يبين الحق، ويظهر كذب الزهري ونفاقه، فقد روي: أن الزهري قال لعلي بن الحسين عليه السلام : كَانَ مُعَاوِيَة يُسْكِتُهُ الْحِلْمُ، وَيُنْطِقُهُ الْعِلْمُ!

فقال الإمام عليه السلام : «كَذَبت يا زهري، بَلْ كَانَ يُسْكِتُهُ الْحَصَرُ، وَيُنْطِقُهُ الْبَطَرُ»[5].

---

١ سورة الأنعام: الآية ١٢٤.

٢ تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ٤١، ص ٣٩٨. البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٩، ص ١٢٥. ينابيع المودة: ج ٢، ص ٤٦٨.

٣ البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٩، ص ١٢٦.

٤ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ١٠٢.

٥ الاعتصام: ج ٢، ص ٢٥٧. ونسب أن القائل في حق معاوية هو نافع بن جبير. راجع: بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٥٨.

رسالة الإمام زين العابدين للزهري

عندما أصبح الزهري من علماء السلاطين ووعاظهم الكبار، ومن المدافعين عنهم، ومن المزينين لهم سوء أفعالهم، وبعدما تولى منصب الإفتاء والقضاء في الدولة الأموية، وكان من الذين يختلقون الأحاديث والروايات الموضوعة وينسبونها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله كذبًا وزورًا، أرسل إليه الإمام زين العابدين عليه السلام رسالة شديدة اللهجة، داعيًا إياه إلى الانتباه إلى آخرته، والتفكير في عاقبة أمره، وألا تغره بهارج الدنيا وزينتها، مبينًا له -ولأمثاله من وعاظ السلاطين- أخطار الارتباط بحكام الظلم والجور ومعاونتهم؛ وقد روى هذه الرسالة الخاصة والعامة، ونصَّ الغزالي على أن الإمام أرسل إليه هذه الرسالة لما خالط السلطان[1]، وإليكم نصها كما رواها ابن شعبة الحراني في كتابه: (تحف العقول)، وهي:

« كَفانَا اللَّهُ وإيَّاكَ مِنَ الفِتَنِ ورَحِمَكَ مِنَ النَّارِ، فَقَد أصبَحتَ بِحالٍ يَنبَغي لِمَن عَرَفَكَ بِها أن يَرحَمَكَ، فَقَد أثقَلَتكَ نِعَمُ اللَّهِ بِما أصَحَّ مِن بَدَنِكَ وأطالَ مِن عُمُرِكَ، وقامَت عَلَيكَ حُجَجُ اللَّهِ بِما حَمَّلَكَ مِن كِتابِهِ، وفَقَّهَكَ فيهِ مِن دينِهِ، وعَرَّفَكَ مِن سُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ، فَرَضِيَ لَكَ في كُلِّ نِعمَةٍ أنعَمَ بِها عَلَيكَ، وفي كُلِّ حُجَّةٍ احتَجَّ بِها عَلَيكَ الفَرضَ بِما قَضى، فَما قَضى إلَّا ابتَلى شُكرَكَ في ذلِكَ وأبدى فيهِ فَضلَهُ عَلَيكَ، فَقالَ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾[2].

فَانظُر أيَّ رَجُلٍ تَكونُ غَدًا إذا وَقَفتَ بَينَ يَدَيِ اللَّهِ فَسَأَلَكَ عَن

---

١ إحياء علوم الدين: الغزالي، ج ٢، ص ١٤٣.

٢ إبراهيم: ٧.

نِعَمِهِ عَلَيكَ كَيفَ رَعَيتَها؟ وعَن حُجَجِهِ عَلَيكَ كَيفَ قَضَيتَها؟ ولا تَحسَبَنَّ اللَّهَ قابِلاً مِنكَ بِالتَّعذيرِ ولا راضِيًا مِنكَ بِالتَّقصيرِ، هَيهاتَ هَيهاتَ! لَيسَ كَذلِكَ،أخَذَ عَلَى العُلَماءِ في كِتابِهِ إذ قالَ:﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [1].

وَاعلَم أنَّ أدنى ما كَتَمتَ وأخَفَّ مَا احتَمَلتَ أن آنَستَ وَحشَةَ الظَّالِمِ وسَهَّلتَ لَهُ طَريقَ الغَيِّ بِدُنُوِّكَ مِنهُ حينَ دَنَوتَ وإجابَتِكَ لَهُ حينَ دُعيتَ، فَما أخوَفَني أن تَكونَ تَبوءُ بِإثمِكَ غَدًا مَعَ الخَوَنَةِ، وأن تُسأَلَ عَمَّا أخَذتَ بِإعانَتِكَ عَلى ظُلمِ الظَّلَمَةِ، إنَّكَ أخَذتَ ما لَيسَ لَكَ مِمَّن أعطاكَ، ودَنَوتَ مِمَّن لَم يَرُدَّ عَلى أحَدٍ حَقًّا ولَم تَرُدَّ باطِلًا حينَ أدناكَ، وأحبَبتَ مَن حادَّ اللَّهَ. أوَلَيسَ بِدُعائِهِ إيّاكَ حينَ دَعاكَ جَعَلوكَ قُطبًا أداروا بِكَ رَحى مَظالِمِهِم، وجِسرًا يَعبُرونَ عَلَيكَ إلى بَلاياهُم، وسُلَّمًا إلى ضَلالَتِهِم؟! داعِيًا إلى غَيِّهِم، سالِكًا سَبيلَهُم، يُدخِلونَ بِكَ الشَّكَّ عَلَى العُلَماءِ، ويَقتادونَ بِكَ قُلوبَ الجُهَّالِ إلَيهِم، فَلَم يَبلُغ أخَصُّ وُزَرائِهِم ولا أقوى أعوانِهِم إلَّا دونَ ما بَلَغتَ مِن إصلاحِ فَسادِهِم وَاختِلافِ الخاصَّةِ وَالعامَّةِ إلَيهِم، فَما أقَلَّ ما أعطَوكَ في قَدرِ ما أخَذوا مِنكَ؟! وما أيسَرَ ما عَمَروا لَكَ فَكَيفَ ما خَرَّبوا عَلَيكَ؟!

فَانظُر لِنَفسِكَ فَإنَّهُ لا يَنظُرُ لَها غَيرُكَ، وحاسِبها حِسابَ رَجُلٍ مَسؤولٍ. وَانظُر كَيفَ شُكرُكَ لِمَن غَذّاكَ بِنِعَمِهِ صَغيرًا وكَبيرًا؟ فَما أخوَفَني أن تَكونَ كَما قالَ اللَّهُ في كِتابِهِ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ﴾ [2]. إنَّكَ لَستَ في دارِ مُقامٍ، أنتَ في دارٍ قَد آذَنَت بِرَحيلٍ، فَما بَقاءُ المَرءِ بَعدَ

---

١ آل عمران: ١٨٧.

٢ الأعراف: ١٦٩.

قُرَنائِهِ؟! طوبى لِمَن كانَ فِي الدُّنيا عَلى وَجَلٍ، يا بُؤسَ لِمَن يَموتُ وتَبقى ذُنوبُهُ مِن بَعدِهِ!

احـذَر فَقَـد نُبِّئـتَ، وبـادِر فَقَـد أُجِّلتَ، إنَّـكَ تُعامِلُ مَـن لا يَجهَـلُ، وإنَّ الَّذي يَحفَـظُ عَلَيـكَ لا يَغفُـلُ، تَجَهَّـز فَقَـد دَنـا مِنـكَ سَـفَرٌ بَعيـدٌ، وداوِ ذَنبَـكَ فَقَـد دَخَلَهُ سُـقمٌ شَـديدٌ.

ولا تَحسَـب أنّـي أرَدتُ تَوبيخَـكَ وتَعنيفَـكَ وتَعييرَكَ، لكِنّـي أرَدتُ أن يَنعَشَ اللَّـهُ مـا (قَـد) فاتَ مِـن رَأيِـكَ ويَـرُدَّ إلَيكَ مـا عَزَبَ مِـن دينِـكَ، وذَكَـرتُ قَولَ اللَّـهِ تَعـالى في كِتابِهِ:﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[1].

أغفَلتَ ذِكرَ مَن مَضى مِن أسنانِكَ وأقرانِكَ، وبَقيتَ بَعدَهُم كَقَرنٍ أعضَبَ. انظُر هَل ابتُلوا بِمِثلِ مَا ابتُليتَ؟ أم هَل وَقَعوا في مِثلِ ما وَقَعتَ فيهِ؟ أم هَل تَراهُم ذَكرتَ خَيرًا أهمَلوهُ وعَلِمتَ شَيئًا جَهِلوهُ؟ بَل حَظيتَ بِما حَلَّ مِن حالِكَ في صُدورِ العامَّةِ وكَلَفِهِم[2] بِكَ، إذ صاروا يَقتَدونَ بِرَأيِكَ ويَعمَلونَ بِأَمرِكَ؛ إن أحلَلتَ أحَلّوا وإن حَرَّمتَ حَرَّموا، ولَيسَ ذلِكَ عِندَكَ، ولكِن أظهَرَهُم عَلَيكَ رَغبَتُهُم فيما لَدَيكَ، [و] ذَهابُ عُلَمائِهِم، وغَلَبَةُ الجَهلِ عَلَيكَ وعَلَيهِم، وحُبُّ الرِّئاسَةِ وطَلَبُ الدُّنيا مِنكَ ومِنهُم. أما تَرى ما أنتَ فيهِ مِنَ الجَهلِ وَالغِرَّةِ ومَا النّاسُ فيهِ مِنَ البَلاءِ وَالفِتنَةِ؟! قَد ابتَلَيتَهُم وفَتَنتَهُم بِالشُّغلِ عَن مَكاسِبِهِم مِمّا رَأَوا، فَتاقَت نُفوسُهُم إلى أن يَبلُغوا مِنَ العِلمِ ما بَلَغتَ، أو يُدرِكوا بِهِ مِثلَ الَّذي أدرَكتَ، فَوَقَعوا مِنكَ في بَحرٍ لا يُدرَكُ عُمقُهُ، وفي بَلاءٍ لا يُقدَرُ قَدرُهُ، فَاللَّهُ لَنا ولَكَ وهُوَ المُستَعانُ.

أمّـا بَعـدُ، فَأَعـرِض عَـن كُلِّ مـا أنـتَ فيـهِ حَتّـى تَلحَـقَ بِالصّالِحـينَ، الّذينَ

---

١ سورة الذاريات: ٥٥.

٢ كَلِـف بالـشيء كَلَفًـا وكُلفةً فهـو كلِف ومكلّـف: لهج به، كلِف بها أشـدّ الكَلَـف أي أحبّها. الكَلَـف: الولـوع بالـشيء مع شـغل قلـب ومشـقّة (لسـان العـرب: ج ٩ ص ٣٠٧«كلف»).

دُفِنـوا في أسـمالِهِم، لاصِقَـةً بُطونُهُـم بِظُهورِهِـم، لَيـسَ بَينَهُـم وبَـينَ اللَّـهِ حِجـابٌ، ولا تَفتِنُهُـمُ الدُّنيـا ولا يُفتَنـونَ بِهـا، رَغِبـوا فَطَلَبـوا فَمـا لَبِثـوا أن لَحِقـوا. فَـإذا كانَـتِ الدُّنيـا تَبلُـغُ مِن مِثلِـكَ هـذَا المَبلَغَ-مَعَ كِبَرِ سِـنِّكَ ورُسـوخِ عِلمِـكَ وحُضـورِ أجَلِـكَ- فَكَيـفَ يَسـلَمُ الحَـدَثُ في سِـنِّهِ، الجاهِـلُ في عِلمِـهِ، المَأفـونُ في رَأيِـهِ، المَدخـولُ في عَقلِـهِ؟! إنّـا للَّـهِ وإنّـا إلَيـهِ راجِعـونَ. عَـلى مَـنِ المُعَـوَّلُ؟ وعِنـدَ مَـنِ المُسـتَعتَبُ؟ نَشـكو إلَى اللَّـهِ بَثَّنا ومـا نَرى فيكَ، ونَحتَسِـبُ عِنـدَ اللَّـهِ مُصيبَتَنـا بِـكَ.

فَانظُر كَيفَ شُكرُكَ لِمَن غَذَّاكَ بِنِعَمِهِ صَغيرًا وكَبيرًا؟ وكَيفَ إعظامُكَ لِمَن جَعَلَكَ بِدينِهِ في النّاسِ جَميلًا؟ وكَيفَ صِيانَتُكَ لِكِسوَةِ مَن جَعَلَكَ بِكِسوَتِهِ في النّاسِ سَتيرًا؟ وكَيفَ قُربُكَ أو بُعدُكَ ممَّن أمَرَكَ أن تَكونَ مِنهُ قَريباً ذَليلًا؟ ما لَكَ لا تَنتَبِهُ مِن نَعسَتِكَ وتَستَقيلُ مِن عَثرَتِكَ؟! فَتَقولَ: وَاللَّهِ ما قُمتُ للَّهِ مَقامًا واحِدًا أحيَيتُ بِهِ لَهُ دينًا أو أمَتُّ لَهُ فيهِ باطِلًا، فَهذا شُكرُكَ مَنِ استَحمَلَكَ[1]! ما أخوَفَني أن تَكونَ كَمَن قالَ اللَّهُ تَعالى في كِتابِهِ: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾[2] استَحمَلَكَ كِتابَهُ وَاستَودَعَكَ عِلمَهُ فَأضَعتَها، فَنَحمَدُ اللَّهَ الَّذي عافانا مِمَّا ابتَلاكَ بِهِ، وَالسَّلامُ»[3].

احتوت هذه الرسـالة الدامغة والقاصعة عـلى دلالات مهمة وتنبيهات عديدة، نلخصهـا في النقاط الآتية:

١. تدل هذه الرسـالة المهمة على أن الإمام كان يراقب الأوضاع العامة في زمانه بدقـة فائقـة، وكان عـلى معرفة تامـة بما يـدور في أروقة البـلاط الأموي،

١ استعملك.

٢ سورة مريم: ٥٩.

٣ تحـف العقـول: ص ٢٧٤، بحـار الأنـوار: ج ٧٨ ص ١٣٢ ح ٢؛ تاريخ دمشـق: ج ٢٢ ص ٤١ نحوه.

وعلاقة الحكام الأمويين بالعلماء المتماهين معهم كالزهري.

٢. إن هذه الرسالة تحمل في طياتها مواقف صريحة وواضحة من حكام الظلم والجور، فهو يعتبر الحكام الأمويين ظلمة وفسقة، والتعامل معهم حرام، ومعاونتهم على أفعالهم الظالمة من أشد المحرمات والمنكرات؛ ولذا كان يدعو الزهري إلى ترك العمل معهم، والابتعاد عنهم حتى يحافظ على دينه، وألَّا يخسر آخرته.

٣. أراد الإمام من رسالته إقامة الحجة وإتمام البلاغ على أكبر علماء البلاط الأموي (وأمثاله) وهو ابن شهاب الزهري، وأن ما فعله مخالف لسيرة العلماء الصالحين، وأنه في موضع لا يحسد عليه، فقد عمَّر دنياه وأفسد آخرته، فكان مما قاله الإمام له: «فَانظُر أيَّ رَجُلٍ تَكونُ غَدًا إذا وَقَفتَ بَينَ يَدَيِ اللَّهِ فَسَأَلَكَ عَن نِعَمِهِ عَلَيكَ كَيفَ رَعَيتَها؟ وعَن حُجَجِهِ عَلَيكَ كَيفَ قَضَيتَها؟ ولا تَحسَبَنَّ اللَّهَ قابِلاً مِنكَ بِالتَّعذيرِ ولا راضِيًا مِنكَ بِالتَّقصيرِ، هَيهاتَ هَيهاتَ!».

٤. إن معونة الظالم على ظلمه أمر محرم، وأن الركون إلى الظلمة من أشد المحرمات وأعظمها، وأن الظالمين يستغلون علماء السوء الذين يزيِّنون لهم سوء أعمالهم، ويكونون بمثابة الجسر الذي يعبرونه لتمرير أفعالهم القبيحة، وأن من يعاونهم في ظلمهم يكون شريكًا معهم في آثامهم وذنوبهم، فقد قال له الإمام: «وَاعلَم أنَّ أدنى ما كَتَمتَ وأخَفَّ مَا احتَمَلتَ أن آنَستَ وَحشَةَ الظّالِمِ وسَهَّلتَ لَهُ طَريقَ الغَيِّ بِدُنُوِّكَ مِنهُ حينَ دَنَوتَ وإجابَتِكَ لَهُ حينَ دُعيتَ، فَما أخوَفَني أن تَكونَ تَبوءُ بِإِثمِكَ غَدًا مَع الخَوَنَةِ، وأن تُسأَلَ عَمّا أخَذتَ بِإِعانَتِكَ عَلى ظُلمِ الظَّلَمَةِ»

٥. الدعوة إلى المراجعة ومحاسبة النفس، والاستعداد للموت، والتفكير في الآخرة، فقد قال له الإمام محذرًا إياه من الغفلة والركون إلى دار الدنيا: «إنَّكَ لَستَ في دارِ مُقام، أنتَ في دارٍ قَد آذَنَت بِرَحيلٍ، فَما بَقاءُ المَرءِ بَعدَ قُرَنائِهِ؟! طوبى لِمَن كانَ فِي الدُّنيا عَلى وَجَلٍ، يا بُؤسَ لِمَن يَموتُ وتَبقى ذُنوبُهُ مِن بَعدِهِ!».

٦. يبيِّن الإمام أن الهدف من الموعظة والنصح ليس التوبيخ ولا التعنيف ولا التعيير والتشهير، وإنما الهداية إلى الحق والإرشاد إلى الصواب، فقال: «ولا تَحسَب أنّي أرَدتُ تَوبيخَكَ وتَعنيفَكَ وتَعييرَكَ، لكِنّي أرَدتُ أن يَنعَشَ اللّهُ ما (قَد) فاتَ مِن رَأيِكَ ويَرُدَّ إلَيكَ ما عَزَبَ مِن دينِكَ».

٧. أوضح الإمام في هذه الرسالة خطر وعاظ السلاطين، وعلماء السوء الذين يحرمون ما أحلَّ الله، ويحللون ما حرَّم الله، وأن هذا من الفتن الكبرى والابتلاءات العظمى، وباعثه حب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب المال والشهرة، فقال عليه السلام : « إذ صاروا [العامة] يَقتَدونَ بِرَأيِكَ ويَعمَلونَ بِأَمرِكَ؛ إن أحلَلتَ أحَلُّوا وإن حَرَّمتَ حَرَّموا، ولَيسَ ذلِكَ عِندَكَ، ولكِن أظهَرَهُم عَلَيكَ رَغبَتُهُم فيما لَدَيكَ، [و] ذَهابُ عُلَمائِهِم، وغَلَبَةُ الجَهلِ عَلَيكَ وعَلَيهِم، وحُبُّ الرِّئاسَةِ وطَلَبُ الدُّنيا مِنكَ ومِنهُم. أما تَرى ما أنتَ فيهِ مِنَ الجَهلِ وَالغِرَّةِ ومَا النّاسُ فيهِ مِنَ البَلاءِ وَالفِتنَةِ؟!».

٨. يدعو الإمام في رسالته للزهري – ومن سار على نهجه من وعاظ السلاطين – إلى عدم الاغترار بزخارف الدنيا، والافتتان بها، وإنما الاقتداء بالعلماء الصالحين الذين كانوا يزهدون في الدنيا ويرغبون في الآخرة، إذ قال: «فَأَعرِض عَن كُلِّ ما أنتَ فيهِ حَتّى تَلحَقَ بِالصّالِحينَ، الّذينَ دُفِنوا

في أسـمالِهم، لاصِقَـةً بُطونُهُـم بِظُهورِهِـم، لَيـسَ بَينَهُم وبَينَ اللَّـهِ حِجابٌ، ولا تَفتِنُهُـمُ الدُّنيـا ولا يُفتَنـونَ بِها، رَغِبـوا فَطَلَبوا فَما لَبِثـوا أن لَحِقوا»

٩. في نهايـة الرسـالة يدعو الإمـام الزهري (ومن لفَّ لفَّه) إلى شـكر الله تعالى عـلى نعمـه، والعمـل بإخلاص من أجل دينه، والاسـتيقاظ من نـوم الغفلة، والاسـتقالة مـن معاونـة الظالمين، فقال لـه منبهًا وناصحًـا: «فَانظُر كَيفَ شُـكرُكَ لِمَـن غَـذَّاكَ بِنِعَمِـهِ صَغـيرًا وكَبـيرًا؟ وكَيـفَ إعظامُـكَ لِمَـن جَعَلَـكَ بِدينِـهِ فِي النّـاسِ جَميـلاً؟ وكَيـفَ صِيانَتُـكَ لِكِسـوَةِ مَـن جَعَلَـكَ بِكِسـوَتِهِ فِي النّـاسِ سَـتيرًا؟ وكَيـفَ قُربُـكَ أو بُعـدُكَ مِمَّـن أمَـرَكَ أن تَكـونَ مِنـهُ قَريبًـا ذَليـلاً؟ مـا لَـكَ لا تَنتَبِـهُ مِـن نَعسَـتِكَ وتَسـتَقيلُ مِـن عَثرَتِـكَ؟! فَتَقـولَ: وَاللَّـهِ مـا قُمـتُ للَّـهِ مَقامًـا واحِـدًا أحيَيـتُ بِـهِ لَـهُ دينـاً أو أمَـتُّ لَـهُ فيـهِ باطِـلاً!».

١٠. يختـم الإمـام رسـالته القاصعة بحمد اللـه تعالى على نعمـة البعد عن ركب الظالمـين ومسـايرتهم، وينبِّـه الزهري وأضرابـه إلى الابتلاء الـذي ابتلوا به مـن الركون إلى الظلمة ومعاونتهم عـلى ظلمهم، فهذا من أعظم البلاء وأكبر الفتـن، فيقـول: «فَنَحمَـدُ اللَّـهَ الَّـذي عافانا مِمَّـا ابتَـلاكَ بِهِ!».

وخلاصة الكلام

إن من أخلاق الإمام زين العابدين عليه السلام أنه كان يرحب فيه بالعلماء الصالحين، ويشجعهم على طلب العلم والمعرفة، ويمجد العلم والعلماء، ويدعوهم لخدمة الدين، وبيان أحكام الإسلام وعقائده؛ وفي الوقت نفسه كان يحذر الناس أشد الحذر من علماء السوء وطلاب الدنيا ووعاظ السلاطين الذين باعوا دينهم بفتات من حطام الدنيا، ويدعو إلى اجتنابهم، وعدم الاغترار بالمظاهر الشكلية التي تخدع البسطاء والسذج من الناس.

أخلاقياته عليه السلام مع العبيد

عرفت الشعوب والأمم الرق منذ زمن بعيد، وهو استملاك الإنسان للإنسان، وقد كان معمولًا بهذا الأمر قبل الإسلام وبعده، ولم تتخلص البشرية منه بشكل قانوني ورسمي إلا في القرن العشرين الميلادي.

وقد شجَّع الإسلام على تحرير العبيد وعتقهم، وذلك عبر أسلوبين في غاية الأهمية والحكمة:

الأسلوب الأول: التشجيع على تحرير العبيد وعتقهم، واعتبار ذلك من أفضل القربات إلى الله تعالى. كما جعل عتق رقبة كفارة للعديد من الأخطاء والجنايات التي يرتكبها المسلم كالإفطار في شهر رمضان عمدًا، وكفارة الحنث باليمين، وكفارة النذر، وكفارة قتل شخص عن طريق الخطأ...، وغيرها.

الأسلوب الثاني: غلق كل المنافذ الموجبة إلى الاسترقاق، فقد سَدَّ الإسلامُ كثيرًا من الأسباب والأساليب الموجبة للاسترقاق باستثناء حالة واحدة وهي التعامل بالمثل في الحروب، إذ إن المشركين والكفار كانوا يسترقون الأسرى المسلمين ما دفع إلى التعامل معهم بالمثل، كما يجوز التعامل مع الأسرى بالمنِّ والفداء كما في قوله تعالى﴿لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾

فالإسلام كان يشجع على تحرير العبيد من جهة، ومن جهة أخرى كان يعتبر الاتجار بالبشر من أبغض التجارات وأشدها كراهية.

الإمام زين العابدين عليه السلام والموالي

إن ظاهرة الموالي (العبيد) من الظواهر البارزة في كثير من المجتمعات البشرية، وخاصة في القرون الماضية، إذ كانت ظاهرة العبيد من الظواهر

المنتشرة، ومن العادات المقبولة في الوسط الاجتماعي، ويُستفادُ منهم في الخدمة والعمل في المنازل والبيوت، وخاصة بيوت الأشراف وأهل الجاه والمال.

وفي عهد الإمام زين العابدين عليه السلام انتشر العبيد بكثرة في المجتمع، نتيجة دخول المسلمين إلى بلاد أخرى، والتوسع في الرقعة الجغرافية، إذ إنه «في زمن الإمام زين العابدين عليه السلام الذي عاصر حكم عبدالملك بن مروان وابنه الوليد بن عبدالملك، توجَّه عبدالملك بن مروان وبالذات بعد قضائه على الحركة الزبيرية في الحجاز والعراق، توجَّه صوب توسعة الرقعة الإسلامية وخاصة في أفريقيا، وتمكَّن من أن يغنم من الأموال ما لا يعد من الذهب والمجوهرات، حتى كانت عبارات المؤرخين (ما الله أعلم به)»[1].

وفي الأندلس تمكن طارق بن زياد وموسى بن نصير من العثور على مائدة وعرش سليمان، وهذه الثروة بطبيعتها ترفع من المستوى المعاشي للمجتمع وخاصة أصحاب الوجاهة والرموز الاجتماعية في الأمة، حيث يدفع لهم الحاكم الهدايا والعطايا ويقضي حوائجهم، هذا فضلًا عن العطاء الثابت سنويًّا.

وكذلك غنم المسلمون من هذه البلاد أكثر من ستين ألف مسبي، وتحوَّل كل هؤلاء إلى موالي بداخل الأمة[2]، ونص عبارة ابن الاثير هي: «فبلغ الخمس ستين ألف رأس من السبي، ولم يذكر أحد أنه سمع بسبي أعظم من هذا»[3]. وعندما عاد الجيش الإسلامي إلى دمشق جلب معه ثلاثين ألف جارية بكر كما جاء عن بعض المؤرخين.

وهذا الأمر فرض وجود أعداد كبيرة من الإماء والجواري والموالي في

---

١ الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج ٤، ص ٢٧٧. تاريخ الطبري: ج ٤، ص ١٩.

٢ موسوعة الإمام زين العابدين: الشيخ محسن الحسيني، ج٢، ص١٦٦.

٣ الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج ٤، ص ٢٥٢.

بيـوت ومجتمع المسـلمين، وترتب عليـه العديد من الآثار الاجتماعيـة والثقافية والأخلاقية والتربوية؛ الأمر الذي كان يتطلب معالجات جادة وفي أبعاد مختلفة.

وقد تعامل الإمام زين العابدين عليه السلام تعاملًا إنسانيًّا وأخلاقيًّا راقيًّا مع فئة العبيـد، وبـذل جهده للارتقـاء بهم علميًّا ودينيًّـا وأخلاقيًّا حتى تحـوَّل العديد منهم إلى أعضاء فاعلين ومؤثرين في المجتمع المسـلم.

ومع النظرة الدونية للعبيد من قبل الأوسـاط الاجتماعية في المدن الإسـلامية، ومنهـا المدينة المنـورة؛ إذ كان الأهالي لا يرغبون في التـزوج من الإماء والإنجاب منهـن، إلا أن الإمـام عمل بجهـد على تغيير تلك النظرة السـلبية لهم، وقد تزوَّج منهن مع مكانته وشرفه ومقامه الرفيع.

«وقـد كانت ظاهرة الإنجاب من الموالي غير مرغوب فيها من قبل أهل المدينة للوضـع الاجتماعـي الـذي كان آنـذاك، ومن أهم أسـبابه هو عـدم الرغبة في أن يكـون الولـد وفيه عـرق غير عربي، وكانوا يرون أن ذلـك يؤثر على موقع الابن بـين الأمة في كفاءته أو احترام النـاس إليه، حتى كان موقع الامام زين العابدين عليه السلام ، فتغـيرت نظرتهم لذلك»[1].

«وكان أهـل المدينـة يكرهـون اتخاذ أمهـات الأولاد حتى نشـأ فيهم علي بن الحسـين بـن علي، وفاق أهل المدينـة فقهًا وعلمًا وورعًا، فرغـب الناس حينئذٍ في الـسراري»[2].

وقـد كـسر الإمـام زيـن العابديـن عليه السلام ظاهـرة عـدم الـزواج مـن الإماء، فتـزوَّج أَمَتَـه، وهـو ابن بنت رسـول الله صلى الله عليه وآله ، ولا يدانيه في النسـب والحسـب

١ موسوعة الإمام زين العابدين: الشيخ محسن الحسيني، ج٢، ص١٦٦.

٢ تاريخ مدينة دمشـق: ابن عسـاكر، ج ٢٠، ص ٥٧. عيون الأخبار: ابن قتيبة الدينوري، ج ٤، ص ١٠.

أحـد؛ مـا شـجَّع الآخرين عـلى التزوج منهـن، بل الإنجـاب أيضًا.

التعامل الإنساني للإمام زين العابدين عليه السلام مع العبيد

تعامل الإمام زين العابدين عليه السلام بإنسانية عالية وأخلاق رفيعة مع العبيد والإماء، ونركـز الموضوع حول ذلك في النقاط الآتية:

اولا: تعليم العبيد

اهتم الإمام زين العابدين عليه السلام كثيرًا بمسألة تربية العبيد على القيم الدينية والأخلاقية، وتعليمهم أهم مسائل وأحكام الإسلام، ثم عتقهم بعد ذلك.

وقـد دفـع هـذا الأمـر بهؤلاء العبيـد إلى الولاء للإمـام زين العابديـن عليه السلام والبقاء على ولائهم وخطهم العقائدي لمدرسة أهل البيت الأطهار عليهم السلام ، والوفاء للإمام عليه السلام بالدفـاع عنه، ورفض التعرض له بأي سـوء

ثانيا: نقد الأعراف الجاهلية

كان للروح القبلية والعصبية القومية والأعراف الجاهلية أثرها السلبي في التعامل مـع المـوالي والإماء، ولكن الإمام زين العابدين عليه السلام تجاوز كل تلك الأعراف والتقاليد العربيـة المتوارثة من الجاهلية، وتزوَّج بنفسـه الشريفة من الإمـاء مع ما له من مقام رفيع، ومنزلة علمية متقدمة، ونسب عربي أصيل؛ لأنه أراد أن يثبِّت الأحكام الشرعية، ومقاصد الإسـلام الكبرى، وتخليص المجتمع من الروح الطبقية والقبلية الخاطئة.

وحاول الأمويون النيل من مقام الإمام زين العابدين عليه السلام ، والتقليل من مكانته، والغمـز فيـه لزواجـه مـن أَمَتِـه، إلا أن الإمـام عليه السلام أجابهم بمنطق الإسـلام القوي والواضح.

ويتضـح ذلـك ممـا رواه الكلينـي بسـنده: عَـنْ يَزِيـدَ بْـنِ حَاتِـمٍ، قَـالَ: كَانَ لِعبدالملـك بْـنِ مَـرْوَانَ عَـيْنٌ بِالْمَدِينَـةِ، يَكْتُـبُ إِلَيْـهِ بِأَخْبَـارِ مَـا يَحْـدُثُ فِيهَـا، وَإِنَّ عَـلِّي بْـنَ الْحُسَـيْنِ عليهما السلام أَعْتَـقَ جَارِيَـةً، ثُـمَّ تَزَوَّجَهَـا، فَكَتَـبَ الْعَـيْنُ إِلى

عبدالملك، فَكَتَبَ عبدالملك إلى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام:

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي تَزْوِيجُكَ مَوْلَاتَكَ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ كَانَ فِي أَكْفَائِكَ[1] مِنْ قُرَيْشٍ مَنْ تَمَجَّدُ بِهِ فِي الصِّهْرِ، وَتَسْتَنْجِبُهُ فِي الْوَلَدِ، فَلَا لِنَفْسِكَ نَظَرْتَ، وَلَا عَلى وُلْدِكَ أَبْقَيْتَ، وَالسَّلَامُ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام ردًّا قويًّا مدعمًا بالدليل والحجة، وبمنطق الإسلام، وهذا نص كتابه:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تُعَنِّفُنِي[2] بِتَزْوِيجِي مَوْلَاتِي، وَتَزْعُمُ أَنَّهُ كَانَ فِي نِسَاءِ قُرَيْشٍ مَنْ أَتَمَجَّدُ بِهِ فِي الصِّهْرِ، وَأَسْتَنْجِبُهُ فِي الْوَلَدِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرْتَقًى فِي مَجْدٍ، وَلَا مُسْتَزَادٌ فِي كَرَمٍ، وَإِنَّمَا كَانَتْ مِلْكَ يَمِينِي، خَرَجَتْ مَتى أَرَادَ اللَّهُ[3] -عَزَّ وَجَلَّ- مِنِّي بِأَمْرٍ أَلْتَمِسُ بِهِ ثَوَابَهُ، ثُمَّ ارْتَجَعْتُهَا عَلى سُنَّةٍ، وَمَنْ كَانَ زَكِيًّا فِي دِينِ اللَّهِ، فَلَيْسَ يُخِلُّ بِهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ، وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ الْخَسِيسَةَ، وَتَمَّمَ بِهِ النَّقِيصَةَ، وَأَذْهَبَ اللُّؤْمَ، فَلَا لُؤْمَ عَلى امْرِئٍ مُسْلِمٍ، إِنَّمَا اللُّؤْمُ لُؤْمُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالسَّلَامُ».

فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ رَمى بِهِ إِلَى ابْنِهِ سُلَيْمَانَ، فَقَرَأَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَشَدَّ مَا فَخَرَ عَلَيْكَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام.

---

١ الأكفاء: الأمثال والنظائر، جمع الكفيء، وهو النظير والمساوي والمثل. راجع: لسان العرب، ج ١، ص ١٣٩؛ القاموس المحيط، ج ١، ص ١١٧(كفأ).

٢ التعنيف: التوبيخ، والتقريع، واللوم، والعتاب. راجع: النهاية، ج ٣، ص ٣٠٩(عنف).

٣ في المرآة: «قوله عليه السلام : أراد اللّه، جملة معترضة تعليليّة، أي خرجت منّي بأمر التمست بذلك الأمر ثوابه؛ لأنّ اللّه أراد وطلب منّي ذلك. ويحتمل أن يكون قوله: «بأمر» متعلّقًا بقوله: «أراد»، أي أمرني بذلك، والضمير في قوله: «به» راجعًا إلى الإخراج أو الخروج».

فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، لَا تَقُلْ ذلِكَ؛ فَإِنَّهُ أَلْسَنُ بَنِي هَاشِمٍ الَّتِي تَفْلِقُ الصَّخْرَ، وَتَغْرِفُ مِنْ بَحْرٍ. إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام -يَا بُنَيَ- يَرْتَفِعُ مِنْ حَيْثُ يَتَّضِعُ النَّاسُ[1].

وينقل لنا التاريخ أيضًا حوارًا ساخنًا بين زيد بن علي عليه السلام وهشام بن عبدالملك الأموي، إذ إِنَّهُ دَخَلَ زيد بن علي عَلَى هِشَامِ بْنِ عبدالملك، وَقَدْ جَمَعَ لَهُ هِشَامٌ أَهْلَ الشَّامِ وَأَمَرَ أَنْ يَتَضَايَقُوا فِي الْمَجْلِسِ حَتَّى لَا يُتَمَكَّنَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى قُرْبِهِ.

فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَحَدٌ فَوْقَ أَنْ يُوصَى بِتَقْوَى اللَّهِ، وَلَا مِنْ عِبَادِهِ أَحَدٌ دُونَ أَنْ يُوصِيَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَنَا أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَاتَّقِهِ.

فَقَالَ لَهُ هِشَامٌ: أَنْتَ الْمُؤَهِّلُ نَفْسَكَ لِلْخِلَافَةِ، الرَّاجِي لَهَا؟ وَمَا أَنْتَ وَذَاكَ لَا أُمَّ لَكَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ ابْنُ أَمَةٍ!

فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ وَهُوَ ابْنُ أَمَةٍ، فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ يَقْصُرُ عَنْ مُنْتَهَى غَايَةٍ لَمْ يُبْعَثْ، وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ، فَالنُّبُوَّةُ أَعْظَمُ أَمِ الْخِلَافَةُ يَا هِشَامُ؟ وَبَعْدُ فَمَا يَقْصُرُ بِرَجُلٍ أَبُوهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ ابْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَكُونَ ابْنَ أَمَةٍ؟![2].

فالأمويون يتحدثون بمنطق الجاهلية، حيث العصبية والاستعلاء، بينما

---

١ الكافي: الشيخ الكليني، ج ٥، ص ٣٤٨، ح ٤. الوافي: ج ٢١، ص ٩٣، ح ٢٠٨٦٤؛ الوسائل: ج ٢٠، ص ٧٢، ح ٢٥٠٦٣؛ بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٦٤، ح ٦.

٢ كشف الغمة في معرفة الأئمة: (ط - القديمة)، ج٢، ص: ١٢٩ – ١٣٠. الإرشاد: الشيخ المفيد، ج ٢، ص ١٧٢. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٤٦، ص ١٨٦ - ١٨٧، ح ٥٢. وليس في الأخيرين: أَنْ يَكُونَ ابْنَ أَمَةٍ.

الإمـام زيـن العابديـن عليه السلام وابنه زيـد يتحدثان بمنطق الإسـلام الـذي حطَّم الأعـراف والعادات الجاهليـة المقيتة.

ثالثا : التسامح مع العبيد

اتصـف تعامل الإمام زين العابدين عليه السلام مع العبيد والإماء بالرحمة والعفو والإحسان والصفح والتواضع والتسامح معهم.

وقد سجَّل لنا التاريخ كثيرًا من القصص والشواهد على ذلك، ومنها:

إنَّ مَـوْلًى لِعَـلِّيِ بْـنِ الْحُسَـيْنِ عليه السلام يَتَوَلَّى عِمَـارَةَ ضَيْعَةٍ لَـهُ، فَجَـاءَ لِيَطَّلِعَهَا فَأَصَـابَ فِيهَـا فَسَـادًا وَتَضْيِيعًـا كَثِـيرًا، غَاظَـهُ مِنْ ذَلِـكَ مَـا رَآهُ وَغَمَّـهُ، فَقَرَعَ الْمَـوْلَى بِسَـوْطٍ كَانَ فِي يَـدِهِ فَأَصَـابَ[1] وَنَدِمَ عَـلَى ذَلِكَ.

فَلَمَّا انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ، أَرْسَلَ فِي طَلَبِ الْمَوْلَى فَأَتَاهُ، فَوَجَدَهُ عَارِيًا[2]، وَالسَّوْطُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ عُقُوبَتَهُ فَاشْتَدَّ خَوْفُهُ، فَأَخَذَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّوْطَ، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ: يَا هَذَا قَدْ كَانَ مِنِّي إِلَيْكَ مَا لَمْ يَتَقَدَّمْ مِنِّي مِثْلُهُ، وَكَانَتْ هَفْوَةً وَزَلَّةً[3]، فَدُونَكَ السَّوْطَ وَاقْتَصَّ مِنِّي.

فَقَـالَ الْمَـوْلَى: يَـا مَـوْلَايَ، وَاللَّـهِ إِنْ ظَنَنْـتُ إِلَّا أَنَّـكَ تُرِيـدُ عُقُوبَتِـي، وَأَنَـا

---

١ أي وقع السوط عليه.

٢ يحتمـل أن يكـون المقصـود بذلـك تجرده من معظم ملابسـه السـاترة، إذ يقال لمن يسـتر عورته ويتجرد من باقي ملابسه أمام الناس بأنه إنسان عارٍ لأنه فعل خلاف المروءة والذوق العام؛ كما يحتمل أن يكون المقصود بذلك تلبسـه بسـوء التصرف والفعل في المزرعة أو قيامه بأفعال وحركات منافية للأدب والحشـمة، فهو متجرد من أي سـلوك أو فعل حسن.

٣ المـراد مـن ذلك أن الإمام من طبيعتـه وخصاله الكريمة العفو والصفـح عن أخطاء عبيده وإمائه وليس تعنيفهم أو التعامل معهم بشـدة، وأن ضرب هذا العبد الذي أفسـد البسـتان أو المزرعة وإن كان مستحقًا ذلك لسوء فعله، وكان ضربه على النحو الخفيف من باب تأديبه؛ إلا أن تسـامح الإمام وشـفقته ورأفته ورحمته بالعبيد اعتبر ذلك وكأنه (هفوة وزلة) وهو ليس كذلـك وإنما من باب المجاز أو ترك الأولى؛ فتأمل.

مُسْتَحِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ، فَكَيْفَ أَقْتَصُّ مِنْكَ؟!

قَالَ: وَيْحَكَ اقْتَصَّ!

قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ، أَنْتَ فِي حِلٍّ وَسَعَةٍ، فَكَرَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِرَارًا، وَالْمَوْلَى كُلَّ ذَلِكَ يَتَعَاظَمُ قَوْلَهُ وَيُحَلِّلُهُ، فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ يَقْتَصُّ لَهُ، قَالَ: أَمَّا إِذَا أَبَيْتَ، فَالضَّيْعَةُ صَدَقَةٌ عَلَيْكَ، وَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا[1].

جَعَلَتْ جَارِيَةٌ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام تَسْكُبُ الْمَاءَ عَلَيْهِ وهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، فَسَقَطَ الْإِبْرِيقُ مِنْ يَدِ الْجَارِيَةِ عَلَى وَجْهِهِ فَشَجَّهُ، فَرَفَعَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام رَأْسَهُ إِلَيْهَا.

فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾.

فَقَالَ لَهَا: قَدْ كَظَمْتُ غَيْظِي.

قَالَتْ: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾.

قَالَ لَهَا: قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْكِ.

قَالَتْ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾.

قَالَ: اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ[2].

دَعَا عَلِيُّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَمْلُوكَهُ مَرَّتَيْنِ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ أَجَابَهُ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ، أَمَا سَمِعْتَ صَوْتِي؟

قَالَ: بَلَى.

قَالَ: فَمَا لَكَ لَمْ تُجِبْنِي؟

---

١ مناقب آل أبي طالب عليهم السلام : ابن شهر آشوب، ج٤، ص:. ١٥٨مستدرك الوسائل: النوري الطبرسي، ج ١٨، ص ٢٨٨، ح ٢٢٧٧٣. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٤٦، ص ٩٤.

٢ مناقب آل أبي طالب عليهم السلام : ابن شهر آشوب، ج٤، ص: ١٥٨. مستدرك الوسائل: النوري الطبرسي، ج ١، ص ٣٤٥، ح ٨٠١. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٤٦، ص ٦٨، ح ٣٦.

قَالَ: أَمِنْتُكَ!

قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مَمْلُوكِي يَأْمَنُنِي[1].

وهـذه القصص تدل على تسـامح الإمام زيـن العابدين عليه السلام وتعامله بلطف ورفق وعفو وإحسـان وإنسـانية لا نجد لها مثيلًا ولا نظيرًا إلا عند جده رسـول الله صلى الله عليه وآله وآبائـه الطاهرين.

رابعا : تحرير العبيد

اتخـذ الإمـام زين العابديـن عليه السلام منهجَ تحريـرِ العبيد؛ فـكان يقيم محفلًا سـنويًّا لعتقهم من أجل نيل الثواب والأجر، وأيضًا تشـجيع الآخرين على العتق؛ وذلك لتحقيق حرية الإنسـان والتخلص من العبودية.

وكان الإمام عليه السلام يشـتري كثيرًا من العبيد في كل سـنة، ويعيشـون معه مدة من الزمن، ثم يطلق سراحهم ويعتقهم ليعيشـوا أحرارًا.

فقـد روي «وَمَـا مِـنْ سَـنَةٍ إِلَّا وَكَانَ يُعْتِـقُ فِيهَـا فِي آخِـرِ لَيْلَـةٍ مِـنْ شَـهْرِ رَمَضَـانَ مَـا بَـيْنَ الْعشرْيِـنَ رَأْسًـا إِلَى أَقَـلَّ أَوْ أَكْثَـرَ»[2].

«وَمَا اسْتَخْدَمَ خَادِمًا فَوْقَ حَوْلٍ، كَانَ إِذَا مَلَكَ عَبْدًا فِي أَوَّلِ السَّنَةِ أَوْ فِي وَسَطِ السَّنَةِ إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْفِطْرِ أَعْتَقَ وَاسْتَبْدَلَ سِوَاهُمْ فِي الحَوْلِ الثَّانِي، ثُمَّ أَعْتَقَ كَذَلِكَ، كَانَ يَفْعَلُ حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ تَعَالَى»[3].

«وَلَقَدْ كَانَ يَشْتَرِي السُّودَانَ وَمَا بِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ حَاجَةٍ يَأْتِي بِهِمْ عَرَفَاتٍ، فَيَسُدُّ

---

١ مناقـب آل أبـي طالب عليهم السلام : ابن شهرآشـوب، ج٤، ص: ١٥٧. تاريخ مدينة دمشـق: ابن عسـاكر، ج ٤١، ص ٣٨٧. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٤٦، ص ٥٦، ح ٦.

٢ إقبـال الأعمال: السـيد ابن طـاووس، ج ١، ص ٤٤٤. بحار الأنوار: ج٤٦، ص: ١٠٥، ح ح ٩٣.

٣ إقبال الأعمال: السيد ابن طاووس، ج ١، ص ٤٤٥. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٠٥، ح ٩٣.

بِهِمْ تِلْكَ الْفُرَجَ وَالْخِلَالَ، فَإِذَا أَفَاضَ أَمَرَ بِعِتْقِ رِقَابِهِمْ وَجَوَائِزَ لَهُمْ مِنَ المَال»[1].

ومن جميل ما كان يفعله الإمام زين العابدين عليه السلام مع العبيد والإماء في شهر رمضان المبارك، أنه كان لا يعاقبهم ولا يوبخهم وإن ارتكبوا ما يستحقون العقاب والتأديب، وكان يكتب ما يفعلونه من أخطاء ثم يقرأها عليهم في نهاية شهر رمضان، ثم يطلب منهم أن يعفوا عنه كي يعفو عنهم؛ وهذا من عظيم أخلاقه، وخصاله الكريمة، وشدة تواضعه وإحسانه لهم، ثم يعتق رقابهم جميعًا، ويقدم لهم العطايا والجوائز والمال بما يغنيهم عن سؤال الناس.

روى ابن طاووس بإسناده: عن محمّد بن عجلان، قال: سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول:

«كانَ عَلِيُّ بنُ الحُسَين عليه السلام إذا دَخَلَ شَهرُ رَمَضانَ لا يَضرِبُ عَبدًا لَهُ ولا أمَةً، وكانَ إذا أذنَبَ العَبدُ وَالأَمَةُ يَكتُبُ عِندَهُ أذنَبَ فُلانٌ، أذنَبَت فُلانَةُ يَومَ كَذا وكَذا، ولَم يُعاقِبهُ فَيَجتَمِعُ عَلَيهِمُ الأَدَبُ [الآداب]، حَتّى إذا كانَ آخِرُ لَيلَةٍ مِن شَهرِ رَمَضانَ دَعاهُم وجَمَعَهُم حَولَهُ، ثُمَّ أظهَرَ الكِتابَ ثُمَّ قَالَ: «يا فُلانُ، فَعَلتَ كَذا وكَذا ولَم أُؤَدِّبكَ أتَذكُرُ ذلِكَ؟»

فَيَقولُ: بَلى، يَا بنَ رَسولِ اللَّهِ، حَتّى يَأتِيَ عَلى آخِرِهِم ويُقَرِّرَهُم جَميعًا.

ثُمَّ يَقومُ وَسَطَهُم ويَقولُ لَهُم: «ارفَعوا أصواتَكُم وقولوا: يا عَلِيَّ بنَ الحُسَين، إنَّ رَبَّكَ قَد أحصى عَلَيكَ كُلَّ ما عَمِلتَ، كَما أحصَيتَ عَلَينا كُلَّ ما عَمِلنا، وَلَدَيهِ كِتابٌ يَنطِقُ عَلَيكَ بِالحَقِّ، لا يُغادِرُ صَغيرَةً ولا كَبيرَةً مِمّا أتَيتَ إلّا أحصاها، وتَجِدُ كُلَّ ما عَمِلتَ لَدَيهِ حاضِرًا، كَما وَجَدنا كُلَّ ما

١ إقبال الأعمال: السيد ابن طاووس، ج ١، ص ٤٤٥. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٠٥، ح ٩٣.

عَملنـا لَدَيـك حـاضِرًا، فَاعفُ وَاصفَح كَمـا تَرجو مِـنَ المَليكِ العَفـوَ، وكَما تُحِبُّ أن يَعفُـوَ المَليـكُ عَنـكَ، فَاعـفُ عَنّـا تَجِـدهُ عَفُـوًّا، وبِـكَ رَحيمًـا، ولَـكَ غَفـورًا، ولا يَظلِـمُ رَبُّـك أحَـدًا، كَمـا لَدَيـكَ كِتابٌ يَنطِـقُ عَلَينا بِالحَـقِّ، لا يُغـادِرُ صَغيرَةً ولا كَبـيرَةً مِمّا أتَيناهـا إلّا أحصاها.

فَاذكُـر يـا عَـلِيَّ بـنَ الحُسَـينِ، ذُلَّ مَقامِـكَ بَـينَ يَـدَي رَبِّـكَ الحَكَـمِ العَـدلِ الَّـذي لا يَظلِـمُ مِثقـالَ حَبَّـةٍ مِن خَـردَلٍ، ويَأتـي بِها يَـومَ القِيامَةِ، وكَفـى بِاللَّهِ حَسـيبًا وشَـهيدًا، فَاعـفُ وَاصفَـح يَعفـو[1] عَنـكَ المَليكُ ويَصفَـحُ؛ فَإنَّـهُ يَقولُ: ﴿وَلْيَعْفُـواْ وَلْيَصْفَحُـوٓاْ أَلَا تُحِبُّـونَ أَن يَغْفِـرَ ٱللَّهُ لَكُـمْ﴾[2]».

قـالَ: وهُـوَ يُنـادي بِذلِـكَ عَـلى نَفسِـهِ ويُلَقِّنُهُـم، وهُـم يُنـادون مَعَـهُ، وهُوَ واقِـفٌ بَينَهُـم يَبكـي ويَنـوحُ، ويَقـولُ: «رَبِّ إنَّـكَ أمَرتَنـا أن نَعفُـوَ عَمَّـن ظَلَمَنا، فَقَـد ظَلَمنا أنفُسَـنا، فَنَحنُ قَد عَفَونا عَمَّـن ظَلَمَنا كَما أمَرتَ، فَاعفُ عَنّـا فَإنَّكَ أولى بِذلِـكَ مِنّـا ومِـنَ المَأموريـنَ، وأَمَرتَنـا أن لا نَـرُدَّ سـائِلًا عَـن أبوابِنـا، وقَـد أتَيناكَ سُـؤّالًا ومَسـاكينَ، وقَـد أنَخنا بِفِنائِـكَ وبِبابِكَ، نَطلُـبُ نائِلَكَ ومَعروفَـكَ وعَطاءَكَ، فَامنُـن بِذلِـكَ عَلَينا، ولا تُخَيِّبنـا فَإنَّكَ أولى بِذلِـكَ مِنّا ومِنَ المَأموريـنَ. إلهي كَرُمتَ فَأكرِمنـي؛ إذ كُنـتُ مِـن سُـؤّالِكَ، وجُـدتَ بِالمَعـروفِ فَاخلِطنـي بِأَهـلِ نَوالِـكَ يـا كَريمُ».

ثُـمَّ يُقبِـلُ عَلَيهِم ويَقـولُ: «قَد عَفَوتُ عَنكُـم، فَهَل عَفَوتُم عَنّـي ومِمّا كانَ مِنّي إلَيكُـم مِـن سـوءِ مَلَكَـةٍ؟ فَإنّي مَليكُ سـوءٍ، لَئِـيمٌ ظالِمٌ، مَملـوكٌ لِمَليكٍ كَريـمٍ جَوادٍ عـادِلٍ مُحسِـنٍ مُتَفَضِّـلٍ»، فَيَقولونَ: قَد عَفَونا عَنكَ يا سَـيِّدَنا وما أسَـأتَ!

فَيَقـولُ لَهُـم: «قولـوا: اللَّهُـمَّ اعـفُ عَـن عَـلِيِّ بـنِ الحُسَـينِ كَمـا عَفـا عَنّـا،

---

١ كذا في المصدر، والقياس: يَعفُ.

٢ سورة النور: ٢٢.

وأعتقهُ مِنَ النّارِ كَما أعتَقَ رِقابَنا مِنَ الرِّقِّ»، فَيَقولونَ ذلِكَ، فَيَقولُ: «اللَّهُمَّ آمينَ يا رَبَّ العالَمين، اذهَبوا فَقَد عَفَوتُ عَنكُم، وأعتَقتُ رِقابَكُم رَجاءَ لِلعَفوِ عَنّي وعِتقِ رَقَبَتي»، فَيُعتِقُهُم. فَإذا كانَ يَومُ الفِطرِ أجازَهُم بِجَوائِزَ تَصونُهُم وتُغنيهِم عَمّا في أيدِي النّاسِ، وَمَا مِنْ سَنَةٍ إِلَّا وَكَانَ يُعْتِقُ فِيهَا فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مَا بَيْنَ الْعِشْرِينَ رَأْسًا إِلَى أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ.

وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ للهِ تَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ سَبْعِينَ أَلْفَ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ كُلًّا [كُلٌّ] قَدِ اسْتَوْجَبَ النَّارَ فَإِذَا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَعْتَقَ فِيهَا مِثْلَ مَا أَعْتَقَ فِي جَمِيعِهِ، وَإِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَرَانِيَ اللهُ وَقَدْ أَعْتَقْتُ رِقَابًا فِي مِلْكِي فِي دَارِ الدُّنْيَا رَجَاءَ أَنْ يُعْتِقَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ»[1].

ويظهر من هذه الروايات وغيرها أن الإمام كان يقيم مهرجانين لعتق العبيد سنويًّا: الأول في نهاية شهر رمضان، والثاني بعد الانتهاء من الوقوف بعرفة، إذ كان يقتنيهم مع قرب موسم الحج، ويعتقهم في اليوم التاسع من ذي الحجة.

ونتيجة لهذا التعامل الإنساني والأخلاقي للإمام زين العابدين عليه السلام أصبح له كثير من المؤيدين في هذه الشريحة الاجتماعية، ووقفوا معه في العديد من المواقف الصعبة كوقوفهم مع ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي ضد الأمويين، ودفاعهم عن الإمام زين العابدين عليه السلام ضد من يحاول النيل منه، أو الانتقاص من مكانته، وحافظ كثير منهم على ولائهم للإمام عليه السلام ، وتمسكهم بمنهجه العقائدي والديني والفكري لما رأوه من تعامل إنساني رفيع، ولما وجدوا عنده من أخلاق راقية وإنسانية لم يجدوا مثلها في أي مكان آخر.

---

١ الإقبال: ج١، ص ٤٤٣. بحار الأنوار: ج ٩٥، ص ١٨٦.

لقد غيَّر الإمام زين العابدين عليه السلام بتعامله الإنساني والأخلاقي النبيل مع العبيد حياة كثير منهم، واستطاع دمجهم في المجتمعات المسلمة، وكسب محبتهم وقلوبهم وعقولهم؛ ما جعلهم قوة إضافية لقوة المسلمين، وأتباع مدرسة أهل البيت الأطهار.

أخلاقياته عليه السلام مع أعدائه

الرأفة والشفقة والرحمة بالأعداء تعبِّر عن أعظم الأخلاق، وقمة روح الإنسانية، ومنتهى قيم التسامح، وسمو النفس ورفعتها، ورحابة الصدر وسعته، ولين العريكة، وبعد الأفق والنظر، وحب الهداية لهم.

وقد جسَّد تلك الأخلاق الراقية الإمام زين العابدين عليه السلام أجمل تجسيد، فكان من أخلاقه الرفيعة رأفته وشفقته ورفقه بأعدائه، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على عظيم إنسانيته، وقوة نبله، وشدة تسامحه، وسار في ذلك على نهج جده رسول الله صلى الله عليه وآله الذي عفا عن أهل مكة عندما فتحها وقال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، مع أنهم آذووه وأساؤوا إليه، إلا أنه لم يعاملهم بالمثل، بل عفا عنهم وصفح عن إساءاتهم وتسامح عن أخطائهم ورأف بحالهم؛ كما سار على نهج جده أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يعفو عمن أساء إليه ويصفح عنهم ويرأف بهم، وكذا سار على نهج أبيه سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام الذي ضرب أروع الأمثلة في مواقفه النبيلة مع أعدائه، إذ أمر أهل بيته وأصحابه بسقي الماء لجنود الجيش الأموي الذي جاء لقتاله وحربه في موقف إنساني لا نظير له.

وعرف الإمام زين العابدين عليه السلام بالرأفة والشفقة والرحمة والإحسان إلى عامة الناس، ولم يقتصر ذلك على المحيطين به أو القريبين منه، بل إنه كان رؤوفًا ورحيمًا حتى بأعدائه؛ وهو الأمر الذي أثَّر فيهم، وجعل كثيرًا منهم يغيِّر نظرته للإمام ويعلن حبه ومودته له بعدما كان يعلن عداوته تجاهه.

قصص عن رأفته بأعدائه

سجلت لنا كتب التاريخ والحديث والسير مجموعة من القصص والشواهد التي تدل على على أخلاقيات الإمام زين العابدين عليه السلام الراقية في التعامل مع أعدائه، ورأفته وشفقته بهم، وتسامحه معهم، ومنها:

اولا : استمع له حتى أظهر ما في نفسه من العداوة

ينقل قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) هذه القصة المعبرة عن رأفة الإمام بأعدائه، فقد جاء إليه شيخ من أهل الشام فقال: الحمد للّه الذي قتلكم واستأصلكم وأهلككم وقطع الفتنة، ثُمَّ انطلق.

فقال له عليٌّ بن الحسين (عليهما السّلام): «إنّي سكتٌّ لك حتّى تكلَّمتَ وأظهرتَ ما في نفسك من العداوة، فاسكتْ لي كما سكتٌّ لك، فهل قرأتَ القرآن؟».

قال: نعم.

قال: «هل وجدت لنا فيه حقًّا دون خاصّة المسلمين؟».

قال: لا.

قال: «فما قرأت:﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1]؟».

قال: بلى.

قال: «أتدري من هم؟».

قال: لا.

قال: «فإنَّا نحن هم».

---

١ سورة الشورى: ٢٣.

قال: «أما قرأت:﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [1]»؟

قال: نعم.

قال: «تدري من هم؟».

قال: لا.

قال: «فإنَّا نحن هم».

قال: «أو ما قرأت في الأنفال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [2]»؟

قال: نعم.

قال: «أتدري من هم؟».

قال: لا.

قال: «فإنَّا نحن هم».

قال: «وهل قرأت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [3]»؟

قال: نعم.

قال: «هل تدري من هم؟».

قال: لا.

قال: «فإنَّا نحن هم».

قال: إنَّكم أنتم هم؟!

قال: «نعم».

---

١ سورة الإسراء: ٢٦.

٢ سورة الأنفال: ٤١.

٣ سورة الأحزاب: ٣٣.

قال: «اللَّهُمَّ إنّي أتوب إليك، اللَّهُمَّ إنّي أبرأ من أعداء محمَّد، واللّه ما شعرت بهذا ولقد قرأت القرآن منذ زمان»[1].

ونلاحظ في هذه القصة أن الإمام عليه السلام جعله يتكلم وهو يستمع إليه حتى يظهر ما في نفسه من العداوة والحقد، ويمتص ما في داخله من شحنات الكراهية والضغينة، ولم يقابله الإمام بالمثل من كلمات غير لائقة ومستفزة، وبعدما أنهى كلامه المشحون بالأحقاد والضغائن الناتجة من التضليل الإعلامي الأموي تجاه عترة النبي صلى الله عليه وآله، طلب منه أن يستمع إليه كما سمعه بعدما أفرغ ما في جعبته من كلام مسيء.

ثم أخذ الإمام يحاجج الرجل الشامي بالقرآن الكريم لأنه موضع إجماع المسلمين، فسأله الإمام: هل قرأت القرآن؟!

وبعدما أجاب بنعم، أخذ الإمام يطرح عليه بعض الآيات التي نزلت في أهل البيت، فبدأ بآية المودة، ثم آية القربى، ثم آية الخمس، ثم آية التطهير، وفي كل مرة يسأله عن المقصودين بالآية؟ فيجيب بأنه لا يعلم، فيبين له الإمام قائلًا: «فإنَّا نحن هم»؛ فيتعجب الرجل لأنه كان واقع تحت التضليل الأموي الذي صوَّر لهم أن عترة النبي صلى الله عليه وآله إنما هم خوارج، فيقول متعجبًا: إنَّكم أنتم هم؟!

وأكَّد له الإمام ذلك بأنهم هم المقصودون بالآيات الكريمة، وأنها نزلت فيهم، وأنهم من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبعد أن عرف الرجل الشامي الحقيقة أعلن توبته للإمام، والتبرؤ من أعداء النبي صلى الله عليه وآله .

---

١ مكارم أخلاق النبي والأئمة: قطب الدين الراوندي، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ٢٧١ – ٢٧٢. الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، دار أسوة للطباعة والنشر، طهران، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ، ج ٢، ص ١٢٠.

ثانيا : أبوك الذي قتل المؤمنين!

روى العيَّاشي في تفسير سورة الأعراف بسنده: عَنْ يَحْيَى بْنِ الْمُسَاوِرِ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ أَبِيهِ، قال: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَقَالَ: أَنْتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ؟

قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ: أَبُوكَ الَّذِي قَتَلَ الْمُؤْمِنِينَ، فَبَكَى عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ثُمَّ مَسَحَ عَيْنَيْهِ فَقَالَ: «وَيْلَكَ، كَيْفَ قَطَعْتَ عَلَى أَبِي أَنَّهُ قَتَلَ الْمُؤْمِنِينَ؟».

قَالَ: قَوْلُهُ: إِخْوَانُنَا قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا، فَقَاتَلْنَاهُمْ عَلَى بَغْيِهِمْ!

فَقَالَ: «وَيْلَكَ! أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟».

قَالَ: بَلَى.

قَالَ: «فَقَدْ قَالَ اللَّهُ: {وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْبًا}[1] {وَإِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحًا}[2] فَكَانُوا إِخْوَانَهُمْ فِي دِينِهِمْ أَوْ فِي عَشِيرَتِهِمْ؟».

قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: لَا، بَلْ فِي عَشِيرَتِهِمْ.

قَالَ: «فَهَؤُلَاءِ إِخْوَانُهُمْ فِي عَشِيرَتِهِمْ، وَلَيْسُوا إِخْوَانَهُمْ فِي دِينِهِمْ».

قَالَ: فَرَّجْتَ عَنِّي فَرَّجَ اللَّهُ عَنْكَ[3].

وفي هذه الحادثة نلاحظ أيضًا أن الإمام عليه السلام كان رؤوفًا بأعدائه، فأهل الشام كانوا مضللين بالإعلام الأموي المضلل الذي شوه صورة أهل البيت

---

١ هذه الجملة وردت في ثلاث موارد من القرآن الكريم في الآية: (٨٥) من سورة الأعراف: ٧، وفي الآية: (٨٤) من سورة هود: ١١، وفي الآية: (٣٦) من سورة العنكبوت: (٢٩).

٢ هذه الجملة مذكورة في الآية: (٧٣) من سورة الأعراف: (٧)، وفي الآية: (٦١) من سورة هود: ١١.

٣ تفسير العياشي: ج٢، ص: ٢٠، ح ٥٣. مكارم أخلاق النبي والأئمة: الراوندي، ص ٢٧٠. بحار الأنوار: ج ٨: ٤٦٤. البرهان ج ٢: ٢٥.

الأطهـار، عبر بث الشـائعات والدعايات ضدهم، فعندما قال له الرجل الشـامي: أَبُـوكَ الَّـذِي قَتَـلَ الْمُؤْمِنِـينَ! والمقصـود بأبيه هنـا هو أمير المؤمنـين عليه السلام كما أشـارت إلى ذلـك روايـات أخـرى[1]، ولأن كلمـة: «إِخْوَانُنَـا قَـدْ بَغَـوْا عَلَيْنَـا» منسـوبة إليه.

وقـد تأثـر الإمام من قـول هذه الكلمـة المضللة، فكيف يقتـل الإمام المؤمنين وهـو أمـير المؤمنين؟! بـل هو يدافع عنهـم، وهـم يقاتلون معه، ولكـن الإعلام الأموي صوَّر الموضوع بالعكس، وأن الإمام عليًّا عليه السلام هو الذي يقتل المؤمنين، وليـس معاوية! ولذا اسـتنكر الإمـام زين العابدين هذا القـول، وقال لرجل من أهـل البـصرة: «لَا، وَاللَّـهِ مَا قَتَلَ عَـلِيٌّ مُؤْمِنًـا وَلَا قَتَلَ مُسْـلِمًا»[2].

وعندمـا سـأل الإمـام الرجـل الشـامي: «وَيْلَـكَ، كَيْفَ قَطَعْـتَ عَلَى أَبِـي أَنَّهُ قَتَـلَ الْمُؤْمِنـِينَ؟».

قال الرجل: قَوْلُهُ: «إِخْوَانُنَا قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا»، فَقَاتَلْنَاهُمْ عَلَى بَغْيِهِمْ!

فحاججه الإمام بالقرآن الكريم، واسـتدل عليه بآيات من القرآن المجيد ليبيِّن لـه أن المقصـود بالأخـوة في كلام الإمام علي عليه السلام الأخوة في العشـيرة وليس في الديـن قائـلاً له: «فَهَؤُلَاءِ إِخْوَانُهُمْ فِي عَشِـيرَتِهِمْ، وَلَيْسُـوا إِخْوَانَهُـمْ فِي دِينِهِمْ».

وهنـا عـرف الرجـل خطـأ كلامـه، وقـال للإمـام: فَرَّجْـتَ عَنِّـي فَـرَّجَ اللَّهُ عَنْـكَ!

وبهـذا التعامل الرؤوف واللين، وبالشـفقة والرأفة بالأعداء، وتحمل كلامهم السـيِّئ واسـتفزازاتهم لـه، وبيـان خطـأ كلامهم، والاسـتدلال عليهـم بالقرآن الكريم الذي هو موضع وفاق وإجماع بين كافة المسـلمين؛ اسـتطاع الإمام زين

---

١ راجع: بحار الأنوار: ج ٣٢، ص ٣٤٣.

٢ بحار الأنوار: ج ٣٢، ص ٣٤٣، ح ٣٢٧.

العابديـن عليه السلام أن يؤثِّـر فيهـم، ويحوِّل مسـارهم من العـداوة إلى المحبة، ومن الكراهيــة إلى المودة.

إن علينا أن نتعلم من سيرته العطرة هذا الدرس العظيم في التعامل الأخلاقي برحمة وشـفقة ورأفة مع المسيئين والمخطئين حتى يغيِّروا مسارهم الخاطئ إلى المسار الصحيح.

ثالثا : لا يتعرَّضنَّ له أحد منكم!

عيَّن عبدالملك بن مروان ولاة قسـاة على أهم الأقاليم الإسـلامية، وعانى منهم المسـلمون معانـاة شـديدة، فتعاملوا مع الناس بقسـوة وشـدة وغلظـة، وقتلوا كثـيرًا مـن العلمـاء والأخيار، وسـجنوا الآلاف من الأبرياء في السـجون المظلمة، ولم يسـلم منهـم حتى النسـاء والأطفال.

وسـار ولاة عبدالملك على سـيرته التي اتصفت بالظلم والجور، وقد اسـتعمل عـلى المدينـة هشـام بـن إسـماعيل المخزومـي، فعامل الناس بقسـاوة شـديدة، وسـاءت سـيرته، وأظهـر العداوة والحقد عـلى أهل البيت الأطهـار، وتعامل مع الفقيه سـعيد بن المسـيَّب تعاملًا غير إنسـاني، فضربه ستين سـوطًا، وطيف به في الشـوارع، ثـم زجَّ به في السـجن لأنه رفض البيعة لابنَـي عبدالملك بن مروان، وهمـا: الوليد وسـليمان[1].

وتـولى هشـام بـن إسـماعيل المدينة من سـنة ٨٢ حتـى ٨٦ هـ، وقـد تعامل تعامـلاً سـيئًا مـع الإمام زيـن العابديـن عليه السلام خاصة ومـع بني هاشـم عامة، فقـد روى الواقـدي، قـال: حدَّثنـي عبداللـه بـن محمَّـد بن عمـر بن عـلي، قال: «كان هشـام بـن إسـماعيل يـسيء جوارنا، ولقي منـه عليٌّ بن الحسـين عليهما السلام أذًى

١ راجع: الطبقات الكبرى: ابن سعد، ج ٥، ص ١٢٦. الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥١٤.

شـــديدًا»[1].

ولمـا عُزل من قبل الوليد عن ولايـة المدينة كان يخشى من الإمام زين العابدين عليه السلام أن ينتقـم منـه لسـوء أفعالـه معه ومـع أهل بيتـه، فقد أظهر لهـم العداوة والبغضـاء، وكان ينـال من أمير المؤمنين عليه السلام ، ولكن الإمام لم يعامله بالمثل، بل سـلَّم عليه، وأمر أصحابه ألا يتعرضوا له.

كتـب المـؤرخ المعروف اليعقوبي ما نصـه: «وولى الوليد عمـر بن عبدالعزيز المدينـة، وأمـر أن يقـف هشـام بن إسـماعيل للناس، وكان هشـام بن إسـماعيل المخزومي قد أسـاء السـيرة، وجار في الأحكام، وتحامل على آل رسـول الله صلى الله عليه وآله ، فلمـا قدم عمر قال هشـام: ما أخاف إلا علي بن الحسـين! فمـر به، وهو موقوف، فسـلم عليـه، فنـاداه هشـام: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ﴾ [2]»[3].

وروى ابـن سـعد في طبقاته: عن محمد بـن عمر قال: حدّثنى ابن أَبِى سَـبرة عن عبدالله بن عليّ بن حسـين قال: لما عُزل هشـام بن إسماعيل نهانا أن ننال منه ما نكره فإذا أبي قد جمعنا فقال:

«إنّ هذا الرجل قد عُزل وقد أُمر بوقفه للناس، فلا يتعرّضنّ له أحد منكم».

فقلـت: يـا أَبَتِ ولِـمَ؟ والله إن أثـره عندنا لَسَـيّئ وما كنّا نطلـب إلّا مثل هذا اليوم.

قال: «يا بُنيّ نَكِلُه إلى الله».

فوالله ما عرض له أحد من آل حسين بحرف حتى تصرّم أمره[4].

---

١ الإرشـاد: الشـيخ المفيد، ص ٢٤٨. حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار: السيد هاشم البحراني، ج ٣، ص ٢٧٧.

٢ سورة الأنعام: الآية ١٢٤.

٣ تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٩٨.

٤ الطبقات الكبرى: ابن سعد، دار صادر، بيروت، ج ٥، ص ٢٢٠.

إن الإمام زين العابدين عليه السلام لم ينتقم ممن أساء إليه، بل أمر أصحابه أيضًا ألا يتعرضوا له، وكان هشام المخزومي في موقف ضعف وانكسار وذل وهوان، وكان يخاف أن يستغل الإمام الفرصة للانتقام منه؛ ولكنه لم يتعرض له بسوء، وتعامل معه بأخلاق إنسانية عالية.

يحمي عائلة ألد أعدائه في داره!

عرف مروان بن الحكم بشدة العداء والبغض والحقد ضد أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومع ذلك قام الإمام زين العابدين عليه السلام بخطوة إنسانية نبيلة تجاهه لا يقوم بها إلا الرجال العظام، وأصحاب القلوب الطاهرة، والنفوس الزكية؛ إذ حينما ثار أهل المدينة ضد الحكم الأموي وطردوا واليهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان وسائر بني أمية من المدينة المنورة، التجأ مروان إلى الإمام كي يحفظ زوجته في داره خوفًا من بطش الثوار، فقبل الإمام ذلك وآواها في داره، بالرغم من مواقف مروان العدائية تجاه أبيه الإمام الحسين عليه السلام ومن قبله عمه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، لكن الإمام تعامل معه بمنتهى الإنسانية والرحمة تجاه الموقف من إيواء زوجته وبناته عنده في حين رفض ابن عمر إيواءها حتى قال مروان: «قبَّح الله أمرًا كهذا»[1].

كتب هاشم معروف الحسني -عن هذا الموقف الإنساني للإمام زين العابدين عليه السلام - ما نصه: «وقد صنع مع ألد أعداء أهل البيت وأنكد خصومهم (مروان بن الحكم) الذي أشار على يزيد بقتل الحسين وظهر بمظهر الشامت يوم بلغه قتل الحسين وانضم إلى الناكثين والقاسطين في البصرة وصفين، وظل إلى جانب معاوية يتتبع أهل البيت بالأذى والإساءة ويحاول التنكيل بهم وبشيعتهم بكل ما لديه من الوسائل، ومع ذلك فقد صنع معه علي بن الحسين مثلما صنعه مع هشام

١ الأغاني: الأصفهاني، ج ١، ص ٢٤.

وبالغ بالإحسان إليه كما بالغ هو بالإساءة إليه وإلى أبيه وعمه وجده وذلك يوم ثار أهل المدينة على الأمويين وضيقوا عليهم ولم يعد لهم ملجأ بها، فقد ضاقت الأمور بمروان بن الحكم يوم ذاك فراح يستعطف أبناء المهاجرين والأنصار فلم يجد من يحمي له عيال الأمويين ونساءهم ويمنع عنهم الثائرين غير علي بن الحسين فضمهم إلى عياله وعاملهم بما كان يعامل به أسرته وعياله ونساءه، وأقسمت إحدى بنات مروان أو إحدى نساء الأمويين أنها ما رأت في دار أبيها وأمها من الراحة والعيش الهنيء ما رأته في دار علي بن الحسين زين العابدين يوم ذاك.

وإذا كان ذلك غريبًا وبعيدًا عن أخلاق الناس وطبائعهم، فليس بغريب على من اجتباهم اللّه وخصهم بالكرامة والعصمة، وجعلهم فوق مستوى الناس في مواهبهم وأخلاقهم وجميع صفاتهم، إن أخلاق الإمام زين العابدين من أخلاق جديه محمد بن عبداللّه وعلي أمير المؤمنين ومواهبه من مواهبهما»[1].

إن هذا الموقف الإنساني النبيل الذي قام به الإمام زين العابدين عليه السلام من حماية وإيواء عائلة (مروان بن الحكم) الذي كان من أشد أعدائه الألداء لا يمكن أن يقوم به إلا أصحاب القلوب النظيفة، والنفوس النقية، والأخلاق العالية.

هكذا كان الإمام زين العابدين عليه السلام يتعامل برحمة وشفقة ورأفة وصفح وعفو وتسامح مع أشد أعدائه وخصومه عداوة وحقدًا ضد أئمة الحق وأعلام الهدى؛ فلنتعلم منه درسًا في العفو والصفح والتسامح

١ سيرة الأئمة الاثني عشر: السيد هاشم معروف الحسني، المكتبة الحيدرية، النجف، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ، ج ٢، ص ١٥٠.

دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق

مـن أجمـل وأروع أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام دعاؤه في مَكارِمِ الأَخلاقِ ومَـرضِيِّ الأَفعـالِ، لمـا يحتويه هذا الدعـاء الجليل من مضامـين ودلالات تربوية وأخلاقيـة عميقـة، ولأهميـة هـذا الدعـاء في البنـاء الأخلاقي لشـخصية الأفراد وحيـاة المجتمع الأخلاقية، وما يتضمنه مـن مفردات مكارم الأخلاق وفضائلها، فقـد قـام عدد مـن العلماء الأفاضل بشرحـه مفصلًا، وبيان ما فيـه من معارف أخلاقيـة، ووصايـا تربوية، وإرشـادات أخلاقية، وكنـوز معرفية.

ولأهميـة هذا الدعـاء في تحديد وتبيـين مفردات وركائـز ومقومات الأخلاق الرئيسـة في بنـاء الشـخصية الأخلاقيـة للأفـراد، وترسـيخ القيـم والمبـادئ في المجتمـع، ولمعرفـة نظريـة الإمـام في البناء الأخلاقـي؛ إليكم نص الدعـاء كاملًا -مـع الدعـوة إلى التأمـل والتفكر في كل جملـه ومضمونه-:

اللَّهُـمَّ صَـلِّ عَـلى مُحَمَّـدٍ وآلِـهِ، وبَلِّـغ بِإيماني أكمَـلَ الإيمانِ، وَاجعَـل يَقيني أفضَـلَ اليَقـينِ، وَانتَـهِ بِنِيَّتـي إلى أحسَـنِ النِّيـاتِ، وبِعَمَلي إلى أحسَـنِ الأَعمالِ.

اللَّهُـمَّ وَفِّـر بِلُطفِـكَ نِيَّتـي، وصَحِّح بِما عِنـدَكَ يَقينـي، وَاسـتَصلِح بِقُدرَتِكَ مـا فَسَـدَ مِنّي.

اللَّهُـمَّ صَـلِّ عَـلى مُحَمَّـدٍ وآلِـهِ، وَاكفِنـي مـا يَشـغَلُنِي الاهتِمـامُ بِـهِ، وَاسـتَعمِلني بِمـا تَسـأَلُني غَداً عَنهُ، وَاسـتَفرِغ أيّامـي فيما خَلَقتَني لَـهُ، وأَغنِني وأَوسِـع عَلَيَّ في رِزقِـكَ، ولا تَفتِنّي بِالنَّظَرِ، وأَعِزَّنـي ولا تَبتَلِيَنّي بِالكِبرِ، وعَبِّدني لَـكَ ولا تُفسِـد عِبادَتـي بِالعُجـبِ، وأَجرِ لِلنّـاسِ عَلى يَـدَيَّ الخَـيرَ، ولا تَمحَقهُ[1] بِالمَـنِّ، وهَـب لي مَعـالِيَ الأَخـلاقِ، وَاعصِمنـي مِـنَ الفَخـرِ.

اللَّهُـمَّ صَـلِّ عَـلى مُحَمَّـدٍ وآلِـهِ، ولا تَرفَعنـي فِي النّـاسِ دَرَجَـةً إلّا حَطَطتَنـي عِندَ

---

١ المَحقُ: النقص والمحو والإبطال (النهاية: ج ٤ ص ٣٠٣«محق»).

نَفسي مِثلَها، ولا تُحدِث لي عِزًّا ظاهِرًا إلّا أحدَثتَ لي ذِلَّةً باطِنَةً عِندَ نَفسي بِقَدَرِها.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، ومَتِّعني بِهُدًى صالِحٍ لا أستَبدِلُ بِهِ، وطَريقَةِ حَقٍّ لا أزيغُ عَنها، ونِيَّةِ رُشدٍ لا أشُكُّ فيها، وعَمِّرني ما كانَ عُمُري بِذلَةً في طاعَتِكَ، فَإذا كانَ عُمُري مَرتَعًا لِلشَّيطانِ فَاقبِضني إليكَ قَبلَ أن يَسبِقَ مَقتُكَ إلَيَّ، أو يَستَحكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ.

اللَّهُمَّ لا تَدَع خَصلَةً تُعابُ مِنّي إلّا أصلَحتَها، ولا عائِبَةً أُؤَنَّبُ بِها إلّا حَسَّنتَها، ولا أُكرومَةً فِيَّ ناقِصَةً إلّا أتمَمتَها.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأَبدِلني مِن بِغضَةِ أهلِ الشَّنَآنِ المَحَبَّةَ، ومِن حَسَدِ أهلِ البَغيِ المَوَدَّةَ، ومِن ظِنَّةِ أهلِ الصَّلاحِ الثِّقَةَ، ومِن عَداوَةِ الأَدنَينَ الوِلايَةَ، ومِن عُقوقِ ذَوِي الأَرحامِ المَبَرَّةَ، ومِن خِذلانِ الأَقرَبَينَ النُّصرَةَ، ومِن حُبِّ المُداريـنَ تَصحيحَ المَقَةِ، ومِن رَدِّ المُلابِسينَ كَرَمَ العِشرَةِ، ومِن مَرارَةِ خَوفِ الظّالِمينَ حَلاوَةَ الأَمَنَةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَاجعَل لي يَدًا عَلى مَن ظَلَمَني، ولِسانًا عَلى مَن خاصَمَني، وظَفَرًا بِمَن عانَدَني، وهَب لي مَكرًا عَلى مَن كايَدَني، وقُدرَةً عَلى مَنِ اضطَهَدَني، وتَكذيبًا لِمَن قَصَبَني[1]، وسَلامَةً مِمَّن تَوَعَّدَني، ووَفِّقني لِطاعَةِ مَن سَدَّدَني، ومُتابَعَةِ مَن أرشَدَني.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وسَدِّدني لأَن أُعارِضَ مَن غَشَّني بِالنُّصحِ، وأَجزِيَ مَن هَجَرَني بِالبِرِّ، وأُثيبَ مَن حَرَمَني بِالبَذلِ، وأُكافِئَ مَن قَطَعَني بِالصِّلَةِ، وأُخالِفَ مَنِ اغتابَني إلى حُسنِ الذِّكرِ، وأَن أشكُرَ الحَسَنَةَ، وأُغضِيَ[2] عَنِ السَّيِّئَةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وحَلِّني بِحِليَةِ الصّالِحينَ، وأَلبِسني

---

١ قصبه: عابه (النهاية: ج ٤ ص ٦٧«قصب»).

٢ الإغضاءُ: التغافل عن الشيء (مجمع البحرين: ج ٢ ص ١٣٢٣«غضى»).

زينَـةَ المُتَّقـينَ في بَسـطِ العَـدلِ، وكَظـمِ الغَيـظِ، وإطفـاءِ النّائِـرَةِ[1]، وضَـمِّ أهـلِ الفُرقَـةِ، وإصـلاحِ ذاتِ البَـينِ، وإفشـاءِ العارِفَـةِ، وسَـترِ العائِبَـةِ، ولـينِ العَريكَـةِ[2]، وخَفـضِ الجَنـاحِ، وحُسـنِ السّـيرَةِ، وسُـكونِ الرّيـحِ، وطيـبِ المُخالَقَـةِ، وَالسَّـبقِ إلَى الفَضيلَـةِ، وإيثـارِ التَّفَضُّـلِ، وتَـركِ التَّعييـرِ، وَالإفضـالِ عَـلى غَـيرِ المُسـتَحِقِّ، وَالقَـولِ بِالحَـقِّ وإن عَـزَّ، وَاسـتِقلالِ الخَـيرِ وإن كَثُـرَ مِـن قَـولي وفِعـلي، وَاسـتِكثارِ الـشَّرِّ وإن قَـلَّ مِـن قَولي وفِعـلي، وأكمِـل ذلكَ لي بِـدَوامِ الطّاعَـةِ، ولُـزومِ الجَماعَـةِ، ورَفـضِ أهـلِ البِـدَعِ، ومُسـتَعمِلي الـرَّأيِ المُخـتَرَعِ.

اللَّهُـمَّ صَـلِّ عَـلى مُحَمَّـدٍ وآلِـهِ، وَاجعَـل أوسَـعَ رِزقِـكَ عَـليَّ إذا كَـبِرتُ، وأَقـوى قُوَّتِـكَ فِيَّ إذا نَصِبـتُ[3]، ولا تَبتَلِيَنّـي بِالكَسَـلِ عَـن عِبادَتِـكَ، ولَا العَمى عَـن سَـبيلِكَ، ولا بِالتَّعَـرُّضِ لِخِـلافِ مَحَبَّتِـكَ، ولا مُجامَعَـةِ مَـن تَفَـرَّقَ عَنـكَ، ولا مُفارَقَـةِ مَـنِ اجتَمَـعَ إلَيـكَ.

اللَّهُـمَّ اجعَلنـي أصـولُ[4] بِـكَ عِنـدَ الـضَّرورَةِ، وأَسـأَلُكَ عِنـدَ الحاجَـةِ، وأَتَـضَرَّعُ إلَيـكَ عِنـدَ المَسـكَنَةِ، ولا تَفتِنّـي بِالاسـتِعانَةِ بِغَـيرِكَ إذَا اضطُـرِرتُ، ولا بِالخُضـوعِ لِسُـؤالِ غَـيرِكَ إذَا افتَقَـرتُ، ولا بِالتَّـضَرُّعِ إلى مَـن دونَـكَ إذا رَهِبـتُ، فَأَسـتَحِقَّ بِذلِـكَ خِذلانَـكَ ومَنعَـكَ وإعراضَـكَ، يـا أرحَـمَ الرّاحِمـينَ. اللَّهُـمَّ اجعَـل ما يُلقِـي الشَّـيطانُ في رُوعي[5]-مِـنَ التَّمَنّـي وَالتَّظَنّي وَالحَسَـدِ- ذِكـرًا لِعَظَمَتِـكَ، وتَفَكُّـرًا في قُدرَتِـكَ، وتَدبـيرًا عَـلى عَـدُوِّكَ، ومـا أجـرى عَـلى

---

١ النائِرةُ: الفتنة الحادثة والعداوة (النهاية: ج ٥ ص ١٢٧«نور»).

٢ العَريكةُ: الطبيعة (مجمع البحرين: ج ٢ ص ١٢٠٤«عرك»).

٣ النَّصَبُ: التَّعَبُ (النهاية: ج ٥ ص ٦٢«نصب»).

٤ أصولُ: أسطو وأقهرُ (النهاية: ج ٣ ص ٦١«صول»).

٥ رُوعي: نَفسي وخَلَدي (النهاية: ج ٢ ص ٢٧٧«روع»).

لِسـاني- مِـن لَفظَـةِ فُحـشٍ أو هُجـرٍ، أو شَـتمِ عِـرضٍ، أو شَـهادَةِ باطِـلٍ، أو اغتِيـابِ مُؤمِـنٍ غائِـبٍ، أو سَـبِّ حـاضِرٍ، ومـا أشـبَهَ ذلِـكَ- نُطقًـا بِالحَمـدِ لَـكَ، وإغراقًـا فِي الثَّنـاءِ عَلَيـكَ، وذَهابًـا فِي تَمجيـدِكَ، وشُـكرًا لِنِعمَتِـكَ، وَاعتِرافًا بِإحسـانِكَ، وإحصـاءً لِمَنَنِـكَ.

اللَّهُـمَّ صَـلِّ عَـلى مُحَمَّـدٍ وآلِـهِ، ولا أُظلَمَـنَّ وأَنـتَ مُطيـقٌ لِلدَّفـعِ عَنّـي، ولا أظلِمَـنَّ وأَنـتَ القـادِرُ عَـلَى القَبـضِ مِنّـي، ولا أضِلَّـنَّ وقَـد أمكَنَتـكَ هِدايَتـي، ولا أفتَقِـرَنَّ ومِـن عِنـدِكَ وُسـعي، ولا أطغَـيَنَّ ومِـن عِنـدِكَ وُجدي[1].

اللَّهُـمَّ إلى مَغفِرَتِـكَ وَفَـدتُ، وإلى عَفـوِكَ قَصَـدتُ، وإلى تَجـاوُزِكَ اشـتَقتُ، وبِفَضلِـكَ وَثِقـتُ، ولَيـسَ عِندي ما يوجِـبُ لي مَغفِرَتَكَ، ولا في عَمَلي ما أسـتَحِقُّ بِـهِ عَفـوَكَ، ومـا لي بَعـدَ أن حَكَمـتُ عَـلى نَفـسي إلّا فَضلُـكَ، فَصَـلِّ عَـلى مُحَمَّدٍ وآلِـهِ، وتَفَضَّـل عَلَيَّ.

اللَّهُمَّ وأَنطِقني بِالهُدى، وأَلهِمنِي التَّقوى، ووَفِّقني لِلَّتي هِيَ أزكى، وَاستَعمِلني بِما هُوَ أرضى.

اللَّهُمَّ اُسلُك بِيَ الطَّريقَةَ المُثلى، وَاجعَلني عَلى مِلَّتِكَ أموتُ وأَحيا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، ومَتِّعني بِالاقتِصادِ، وَاجعَلني مِن أهلِ السَّدادِ، ومِن أدِلَّةِ الرَّشادِ، ومِن صالِحِي العِبادِ، وَارزُقني فَوزَ المَعادِ وسَلامَةَ المِرصادِ[2].

اللَّهُمَّ خُذ لِنَفسِكَ مِن نَفسي ما يُخَلِّصُها، وأَبقِ لِنَفسي مِن نَفسي ما يُصلِحُها، فَإِنَّ نَفسي هالِكَةٌ أو تَعصِمَها.

اللَّهُـمَّ أنـتَ عُدَّتـي إن حَزِنتُ، وأَنـتَ مُنتَجَعـي[3] إن حُرِمتُ، وبِكَ اسـتِغاثَتي إن

---

١ الوُجْدُ: اليسار والسَّعَةُ (لسان العرب: ج ٣ ص ٤٤٥«وجد»).

٢ المِرصـادُ: طَريـقُ العِبـاد، وعن الصـادق عليه السلام : قَنطرةٌ على الصراط (مجمـع البحرين: ج ٢ ص ٧٠٤«رصد»).

٣ الانتجاعُ: طَلَبُ الإحسـان، ومنه: انتجعتُ فلانًـا: إذا أتيتَه تطلب معروفه (مجمع البحرين:

كَرِثتُ[1] وعِندَكَ مِمّا فاتَ خَلَفٌ، ولِما فَسَدَ صَلاحٌ، وفيما أنكَرتَ تَغييرٌ، فَامنُن عَلَيَّ قَبلَ البَلاءِ بِالعافِيَةِ، وقَبلَ الطَّلَبِ بِالجِدَةِ، وقَبلَ الضَّلالِ بِالرَّشادِ، وَاكفِني مَؤُونَةَ مَعَرَّةِ[2] العِبادِ، وَهَب لي أمنَ يَومِ المَعادِ، وَامنَحني حُسنَ الإرشادِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَادرَأْ عَنّي بِلُطفِكَ، وَاغذُني بِنِعمَتِكَ، وأَصلِحني بِكَرَمِكَ، وداوِني بِصُنعِكَ، وأَظِلَّني في ذَراكَ[3]، وجَلِّلني رِضاكَ، ووَفِّقني إذَا اشتَكَلَت عَلَيَّ الأُمورُ لأَهداها، وإذا تَشابَهَتِ الأَعمالُ لأَزكاها، وإذا تَناقَضَتِ المِلَلُ لأَرضاها.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وتَوِّجني بِالكِفايَةِ، وسُمني حُسنَ الوِلايَةِ، وهَب لي صِدقَ الهِدايَةِ، ولا تَفتِنّي بِالسَّعَةِ، وَامنَحني حُسنَ الدَّعَةِ، ولا تَجعَل عَيشي كَدًّا كَدًّا، ولا تَرُدَّ دُعائي عَلَيَّ رَدًّا، فَإنّي لا أجعَلُ لَكَ ضِدًّا، ولا أدعو مَعَكَ نِدًّا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَامنَعني مِنَ السَّرَفِ، وحَصِّن رِزقي مِنَ التَّلَفِ، ووَفِّر مَلَكَتي بِالبَرَكَةِ فيهِ، وأَصِب بي سَبيلَ الهِدايَةِ لِلبِرِّ فيما أُنفِقُ مِنهُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَاكفِني مَؤُونَةَ الاكتِسابِ، وَارزُقني مِن غَيرِ احتِسابٍ، فَلا أشتَغِلَ عَن عِبادَتِكَ بِالطَّلَبِ، ولا أحتَمِلَ إصرَ[4] تَبِعاتِ المَكسَبِ.

اللَّهُمَّ فَأَطلِبني بِقُدرَتِكَ ما أطلُبُ، وأَجِرني بِعِزَّتِكَ مِمّا أرهَبُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وصُن وَجهي بِاليَسارِ[5]، ولا تَبتَذِل جاهي

ج ٣ ص ١٧٥٣«نجع»).

١ كَرَثَه الأمرُ يَكْرِثُه ويَكْرُثُه: ساءه واشتدّ عليه، وبلغ منه المشقّة (لسان العرب: ج ٢ ص ١٨٠«كرث»).

٢ المَعَرَّة: المَساءَةُ (المصباح المنير: ص ٤٠١«عرر»).

٣ الذَّرى: كلّ ما استَتَرتَ بِه (مجمع البحرين: ج ١ ص ٦٣٦«ذرا»).

٤ الإصرُ: الإثمُ والعُقوبَةُ (النهاية: ج ١ ص ٥٢«أصر»).

٥ اليَسار: الغِنى والثروة (المصباح المنير: ص ٦٨٠«يسر»).

بِالإقتـارِ، فَأَسـترَزِقَ أهـلَ رِزقِـكَ، وأَسـتَعطِيَ شِرارَ خَلقِـكَ، فَأَفتَتِـنَ بِحَمـدِ مَن أعطانـي، وابتَـلى بِـذَمِّ مَـن مَنَعَنـي، وأَنتَ مِـن دونِهِـم وَلِيُّ الإعطـاءِ وَالمَنعِ.

اللَّهُـمَّ صَـلِّ عَـلى مُحَمَّـدٍ وآلِـهِ، وَارزُقنـي صِحَّـةً في عِبـادَةٍ، وفَراغـاً في زَهـادَةٍ، وعِلمـاً في اسـتِعمالٍ، ووَرَعـاً في إجمـالٍ.

اللَّهُـمَّ اختِـم بِعَفـوِكَ أجَـلي، وحَقِّـق في رَجـاءِ رَحمَتِكَ أمَـلي، وسَـهِّل إلى بُلوغِ رِضـاكَ سُـبُلي، وحَسِّـن في جَميعِ أحـوالي عَمَلي.

اللَّهُـمَّ صَـلِّ عَـلى مُحَمَّـدٍ وآلِـهِ، ونَبِّهنـي لِذِكـرِكَ في أوقـاتِ الغَفلَـةِ، وَاسـتَعمِلني بِطاعَتِـكَ في أيّـامِ المُهلَـةِ، وَانهَـج لي إلى مَحَبَّتِـكَ سَـبيلاً سَـهلَةً، أكمِـل لي بِهـا خَـيرَ الدُّنيـا وَالآخِـرَةِ.

اللَّهُـمَّ وصَـلِّ عَـلى مُحَمَّـدٍ وآلِـهِ، كَأَفضَـلِ مـا صَلَّيـتَ عَـلى أحَـدٍ مِـن خَلقِكَ قَبلَـهُ، وأَنـتَ مُصَـلٍّ عَـلى أحَـدٍ بَعـدَهُ، وآتِنـا فِي الدُّنيـا حَسَـنَةً، وفِي الآخِـرَةِ حَسَـنَةً، وقِنـي بِرَحمَتِـكَ عَـذابَ النّـارِ[1].

١ الصحيفة السجّاديّة: ص ٨١ الدعاء ٢٠.

الخاتمة
قصار الحِكَم الأخلاقية
للإمام زين العابدين عليه السلام

روي عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في كتب الحديث والسيرة والتاريخ حِكَم أخلاقية نفيسة، ودرر بليغة، وجواهر جميلة، ولآلئ ثمينة؛ وتحتوي تلك المواعظ والحِكَم والدرر الفاخرة على الموعظة الحسنة، والنصيحة الصادقة، والتوجيه الأخلاقي، والإرشاد التربوي؛ وتحض على تزكية النفس، وتهذيب الروح، وتنقية القلب؛ وفيها إنارة للعقل، وتعديل للسلوك، وتربية على إعلاء قيم الأخلاق الفاضلة والآداب العامة.

وحثَّت هذه الحِكَم الأخلاقية النفيسة، والنصائح التربوية الإرشادية على التحلي بمكارم الأخلاق وفضائلها، والتزين بالصفات الأخلاقية الحميدة، والتخلي عن ذمائم الأخلاق ورذائلها، واجتناب الصفات الأخلاقية السيئة، وتجنب مساوئ الأخلاق ومثالبها.

وعلينا الاستفادة من هذه الحِكَم الأخلاقية الرائعة، والدرر الثمينة، واللآلئ الجميلة، في بناء أنفسنا روحيًّا ومعنويًّا وأخلاقيًّا، وتهذيب سلوكنا، وتنمية التوازن والتعقل في تصرفاتنا وأفعالنا، وفي جميع شؤون حياتنا الخاصة والعامة، بما يساعدنا على الارتقاء أخلاقيًّا في مسيرة دنيا حياتنا، ونيل الفلاح في حياة آخرتنا.

وننقل إليكم جمهرة مما اخترناه لكم من هذه الحِكَم النفيسة القصيرة للإمام زين العابدين عليه السلام المرتبطة بمنظومة الأخلاق المتكاملة، فقد روي عنه عليه السلام ما يأتي:

١. أربعٌ مَن كُنَّ فيه كَمُلَ إسلامُه، ومُحِّصَتْ عنه ذُنوبُهُ، ولَقِيَ ربَّهُ عزَّ وجلَّ وهُو عنه راضٍ: مَن وفى للَّهِ عزَّ وجلَّ بما يَجْعَلُ على نفسِهِ للنّاسِ، وصَدَقَ لِسانُهُ مَع النَّاسِ، واسْتَحْيا مِن كلِّ قبيحٍ عندَ اللَّهِ وعندَ النّاسِ، وحَسَّنَ خُلقَهُ معَ أهلِهِ[١].

٢. إنَّ المعرفَةَ بكمالِ دِينِ المسلمِ تَرْكُهُ الكَلامَ فيما لا يَعْنيهِ، وقِلّةُ المِراءِ، وحِلمُهُ، وصَبرُهُ، وحُسنُ خُلقِهِ[٢].

٣. عَلاماتُ المؤمنِ خَمسٌ: الوَرعُ في الخَلوةِ، والصَّدقةُ في القِلّةِ، والصَّبرُ عند المصيبةِ، والحِلْمُ عند الغضبِ، والصِّدقُ عند الخوفِ[٣].

٤. الصَّبْر مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ[٤].

٥. المؤمنُ خلَطَ علمَهُ بالحِلْمِ، يجلِسُ لِيَعْلَمَ، ويَنْصِتُ لِيَسْلَمَ، ويَنْطِقُ لِيَفْهَمَ، لا يُحَدِّثُ أمانَتَهُ الأصدقاءَ[٥].

٦. إنّهُ لَيُعْجِبُني الرَّجُلُ أنْ يُدرِكَهُ حِلمُهُ عِندَ غَضَبِهِ[٦].

٧. رأيتُ الخَيرَ كُلَّه قدِ اجْتَمَعَ في قَطْعِ الطَّمَعِ عَمّا في أيْدي النّاسِ[٧].

٨. مَن رَمَى الناسَ بما فيهِم رَمَوهُ بما ليسَ فيهِ[٨].

---

١ بحار الأنوار: ٧٢/ ٩٣/ ٦.
٢ بحار الأنوار: ٢/ ١٢٩/ ١١.
٣ بحار الأنوار: ٦٤/ ٢٩٣/ ١٥.
٤ بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٣٩، ح ٢١.
٥ بحار الأنوار: ٦٤/ ٢٩١/ ١٤.
٦ الكافي: ٢/ ١١٢/ ٣.
٧ بحار الأنوار: ٧٠/ ١٧١/ ١٠.
٨ بحار الأنوار: ٧٥/ ١٦٠/ ٢١.

٩. الخَيرُ كُلُّهُ صِيانَةُ الإنْسانِ نَفْسَهُ[١].

١٠. العَقلُ قائدُ الخَيرِ[٢].

١١. مَن طَلَبَ رِضا اللّهِ بسَخَطِ النّاسِ كَفاهُ اللّهُ أُمورَ النّاسِ، ومَن طَلَبَ رِضا النّاسِ بسَخَطِ اللّهِ وكَلَهُ اللّهُ إلى النّاسِ[٣].

١٢. خَيرُ مَفاتيحِ الأُمورِ الصِّدقُ، وخَيرُ خَواتيمِها الوَفاءُ[٤].

١٣. مِن سَعادَةِ الرَّجُلِ أن يَكونَ لَهُ وُلْدٌ يَستَعينُ بِهِم[٥].

١٤. وَيحَكَ يابنَ آدمَ! الغافِلُ وليسَ بمَغفولٍ عَنهُ، ابنَ آدمَ إنَّ أجَلَكَ أسرَعُ شَيءٍ إلَيكَ، قد أقبَلَ نَحوَكَ حَثيثًا يَطلُبُكَ...![٦].

١٥. اعلَمْ وَيحَكَ يا بنَ آدمَ! أنَّ قَسوَةَ البِطنَةِ، وكِظَّةَ المِلْأةِ، وسُكرَ الشِّبَعِ، وغِرَّةَ المُلكِ، ممَّا يُثَبِّطُ ويُبطِئُ عنِ العَمَلِ، ويُنسِي الذِّكرَ، ويُلهِي عنِ اقترابِ الأجَلِ، حتى كَأنَّ المُبتَلى بِحُبِّ الدنيا بِهِ خَبَلٌ مِن سُكرِ الشَّرابِ[٧].

١٦. عَجَبًا للمُتَكبِّرِ الفَخورِ الذي كانَ بالأمسِ نُطفَةً ثُمّ هُو غَدًا جِيفَةٌ![٨].

١٧. القَولُ الحَسَنُ يُثري المالَ، ويُنمي الرِّزقَ، ويُنسِئُ في الأجَلِ، ويُحَبِّبُ إلَى الأهلِ، ويُدخِلُ الجَنَّةَ[٩]

---

١ تحف العقول: ٢٧٨.

٢ أعلام الدين: ص ٩٦.

٣ الاختصاص: ٢٢٥.

٤ بحار الأنوار: ٧٥/ ١٦١/ ٢١.

٥ الكافي: ٦/ ٢/ ٢.

٦ تنبيه الخواطر: ٢/ ٤٧.

٧ تحف العقول: ٢٧٣.

٨ الكافي: ٢/ ٣٢٨/ ١.

٩ الأمالي للصدوق: ٤٩/ ١.

١٨. كَفُّ الأذى من كَمالِ العَقلِ، وفيهِ راحَةُ البَدَنِ عاجِلًا وآجِلًا[١].

١٩. مَنْ عَتَبَ عَلَى الزَّمَانِ طَالَتْ مَعْتَبَتُهُ[٢].

٢٠. الْحَسُودُ لَا يَنَالُ شَرَفاً[٣].

٢١. الحَقودُ يَموتُ كَمَدًا[٤].

٢٢. مَن طَلَبَ الغِنى وَالأَموالَ وَالسَّعَةَ فِي الدُّنيا فَإِنَّما يَطلُبُ ذلكَ لِلرَّاحَةِ، وَالرَّاحَةُ لَم تُخلَق فِي الدُّنيا ولا لِأَهلِ الدُّنيا، إنَّما خُلِقَتِ الرّاحَةُ فِي الجَنَّةِ ولِأَهلِ الجَنَّةِ[٥].

٢٣. احفَظ عَلَيكَ لِسانَكَ؛ تَملِك بِهِ إخوانَكَ[٦].

٢٤. فَقْدُ الْأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ[٧].

٢٥. إيَّاكَ والابتِهاجَ بالذنبِ؛ فإنَّ الابتِهاجَ بِهِ أعظَمُ مِن رُكوبِهِ[٨].

٢٦. وأمَّا حقُّ أخيكَ: فأنْ تَعلَمَ أنَّهُ يَدُكَ وعِزُّكَ وقُوّتُكَ، فلا تتّخِذْهُ سِلاحًا على مَعصيَةِ اللَّهِ، ولا عُدّةً للظُّلمِ لخلقِ اللَّهِ، ولا تَدَعْ نُصْرتَهُ على عَدُوّهِ والنَّصيحَةَ لَهُ، فإنْ أطاعَ اللَّهَ وإلَّا فلْيَكُنِ اللَّهُ أكْرَمَ علَيكَ مِنهُ[٩]

---

١ الكافي: ج ١ ص ٢٠ ح ١٢ عن هشام بن الحكم، تحف العقول: ص ٣٩٠ كلاهما عن الإمام الكاظم عليه السلام . بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٠٤ ح ١.

٢ بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٤٢، ح ٥.

٣ نزهة الناظر: ص ٩٢، ح ١٦.

٤ نزهة الناظر: ص ١٤٤ ح ٢٧٠، مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٢٠ ح ١٣٤٠٠.

٥ الخصال: ص ٦٤ ح ٩٥ عن الزهري، بحارالأنوار: ج ٧٠ ص ٩٢ ح ٦٩.

٦ تنبيه الخواطر: ٢/ ٩٣، بحار الأنوار: ٦٨/ ٢٢٩/ ٦.

٧ بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٥٨.

٨ بحار الأنوار: ٧٥/ ١٥٩/ ١٠.

٩ الخصال: ٥٦٨/ ١.

٢٧. مِـن سَـعادَةِ المَـرءِ أن يكـونَ مَتجَـرُهُ في بِـلادِهِ، ويكـونَ خُلَطـاؤهُ صالِحـينَ، ويكـونَ لَـهُ وُلـدٌ يَسـتَعِينُ بِهِـم[١].

٢٨. هَلَكَ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَكِيمٌ يُرْشِدُهُ، وَذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ سَفِيهٌ يَعْضُدُهُ[٢].

٢٩. لِكُلِّ شيْءٍ فَاكِهَةٌ، وَفَاكِهَةُ السَّمْعِ الْكَلاَمُ الْحَسَنُ[٣].

٣٠. إِيَّاكَ وَالرِّضَا بِالذَّنْبِ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ رُكُوبِهِ[٤].

٣١. لَا تَمْتَنِعْ مِنْ تَرْكِ الْقَبِيحِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ عُرِفْتَ بِهِ[٥].

٣٢. الشَّرَفُ فِي التَّوَاضُعِ، وَالْغِنَى فِي الْقَنَاعَةِ[٦].

٣٣. مِن شَقاءِ المَرءِ أن تَكونَ عِندَهُ امرَأَةٌ مُعجَبٌ بِها، وهِيَ تَخونُهُ[٧].

٣٤. العَمَلُ وِعاءُ الفَهمِ[٨].

٣٥. مَن لَم يُعرَف داؤُهُ، أفسَدَهُ دَواؤُهُ[٩].

٣٦. لا تُعادِيَـنَّ أحَـدًا وإن ظَنَنـتَ أنَّـهُ لا يَـضُرُّكَ، ولا تَزهَـدَنَّ في صَداقَـةِ أحَـدٍ وإن ظَنَنـتَ أنَّـهُ لا يَنفَعُـكَ، فإنَّـكَ لا تَـدري مَتـى تَرجُـو صَديقَـكَ، ولاتَـدري مَتى تَخافُ عَـدُوَّكَ[١٠].

---

١ الخصال: ١٥٩/ ٢٠٧.

٢ بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٥٩.

٣ بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٦٠، ح ٢١.

٤ بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٦١.

٥ بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٦١.

٦ بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٦١.

٧ الكافي: ج ٥ ص ٢٥٨ ح ٣، مشكاة الأنوار: ص ٤٥٨ ح ١٥٣٣. وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٨٠ ح ٢.

٨ أعلام الدين: ص ٩٦.

٩ أعلام الدين: ص ٢٩٩، بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٦٠، ح ٢١.

١٠ الدرّة الباهرة: ٢٦.

٣٧. أشكَرُكُم للَّهِ أشكَرُكُم للناسِ[١].

٣٨. العَصَبِيَّةُ الّتي يَأثَمُ عَلَيها صاحِبُها: أن يَرَى الرَّجُلُ شِرارَ قَومِهِ خَيرًا مِن خِيارِ قَومٍ آخَرينَ، ولَيسَ مِنَ العَصَبِيَّةِ أن يُحِبَّ الرَّجُلُ قَومَهُ، ولكِن مِنَ العَصَبِيَّةِ أن يُعينَ قَومَهُ عَلَى الظُّلمِ[٢].

٣٩. اتَّقُوا الكَذِبَ الصَّغيرَ مِنهُ والكبيرَ، في كلِّ جِدٍّ وهَزلٍ؛ فإنَّ الرجُلَ إذا كذبَ في الصَّغيرِ اجتَرَأَ علَى الكبيرِ[٣].

٤٠. إيَّاكُم والغِيبَةَ؛ فإنّها إدامُ كِلابِ النارِ[٤].

٤١. أظهِرِ اليَأسَ مِن الناسِ؛ فإنَّ ذلكَ هُو الغِنى[٥].

٤٢. إرشادُ المُستَشيرِ قَضاءٌ لِحَقِّ النِّعمَةِ[٦].

٤٣. حَقُّ المُستَشيرِ: إنْ عَلِمتَ أنَّ لَهُ رَأيًا أشَرتَ علَيهِ، وإن لَم تَعلَمْ أرشَدتَهُ إلى مَن يَعلَمُ[٧].

٤٤. أصبَحتُ مَطلُوبًا بِثَمانٍ: اللَّهُ تعالى يَطلُبُني بِالفَرائِضِ، والنبيُّ (صلى الله عليه وآله) بالسُّنَّةِ، والعِيالُ بالقُوتِ، والنَّفسُ بالشَّهوَةِ، والشَّيطانُ بالمَعصيَةِ، والحافِظانِ بِصِدْقِ العَمَلِ، ومَلَكُ المَوتِ بالرُّوحِ، والقَبرُ بالجَسَدِ، فأنا بينَ هذهِ الخِصالِ مَطلوبٌ[٨].

٤٥. ثَلاثٌ مُنجِياتٌ لِلمُؤمِنِ: كَفٌّ لِسانِهِ عَنِ النّاسِ وَاغتِيابِهِم، وإشغالُهُ

١ الكافي: ٢/ ٩٩/ ٣٠.
٢ الكافي: ٢/ ٣٠٨/ ٧.
٣ بحار الأنوار: ٦٩/ ٢٣٥/ ٢.
٤ بحار الأنوار: ٧٢/ ٢٥٦/ ٤٣.
٥ الأمالي للمفيد: ١٨٣/ ٦.
٦ تحف العقول: ٢٨٣.
٧ الخصال: ٥٧٠/ ١.
٨ جامع الأخبار: ٢٣٧/ ٦٠٣.

نَفسَـهُ بِمـا يَنفَعُـهُ لِآخِرَتِـهِ ودُنيـاهُ، وطـولُ البُكاءِ عَـلى خَطيئَتِـهِ[1].

٤٦. استِثمارُ[2] المالِ تَمامُ المُرُوَّةِ[3].

٤٧. عَجِبتُ لِمَن يَحتَمي عَنِ الطَّعامِ لِمَضَرَّتِهِ، وَلا يَحتَمي مِنَ الذَّنبِ لِمَعَرَّتِهِ![4].

٤٨. مَن قالَ: «أستَغفِرُ اللَّهَ وأتوبُ إلَيهِ» فليسَ بمُستَكبِرٍ ولاجَبَّارٍ، إنّ المُستَكبِرَ مَن يُصِرُّ علَى الذَّنبِ الذي قد غَلَبَهُ هَواهُ فيهِ، وآثَرَ دُنياهُ على آخِرَتِهِ[5].

٤٩. مَن ضَحِكَ ضَحكَةً مَجَّ مِن عقلِهِ مَجَّةَ عِلمٍ[6].

٥٠. ما تَجَرَّعتُ جُرعَةً أحَبَّ إلَيَّ مِن جُرعَةِ غَيظٍ لا أُكافِي بها صاحِبَها[7].

٥١. مَن كَفَّ عَن أعراضِ المُسلِمينَ أقالَهُ اللَّهُ عَزَّ وجلَّ عَثرَتَهُ يَومَ القِيامَةِ[8].

٥٢. إيّاكَ وما يُعتَذَرُ مِنهُ[9].

٥٣. لا يَعتَذِرُ إلَيكَ أحَدٌ إلّا قَبِلتَ عُذرَهُ؛ وإن عَلِمتَ أنَّهُ كاذِبٌ[10].

٥٤. إن شَتَمَكَ رَجُلٌ عَن يَمينِكَ ثُمّ تَحَوَّلَ إلى يَسارِكَ واعتَذَرَ إلَيكَ فَاقبَلْ عُذرَهُ[11].

٥٥. اعلَم... أنَّ صَلاحَ شَأنِ الدُّنيا بِحَذافيرِها في كَلِمَتَينِ: إصلاحُ شَأنِ المَعاشِ مِلءُ مِكيالٍ ثُلُثاهُ فِطنَةٌ وثُلُثُهُ تَغافُلٌ؛ لِأَنَّ الإنسانَ لا يَتَغافَلُ

---

١ تحف العقول: ص ٢٨٢، معدن الجواهر: ص ٣٤، بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٤٠ ح ٣٠.

٢ في تحف العقول: ص ٢٨٣: اسْتِنْمَاءُ.

٣ الكافي: ١/ ٢٠/ ١٢.

٤ بحار الأنوار: ٧٥/ ١٥٩/ ١٠.

٥ بحار الأنوار: ٩٠/ ٢٧٧/ ٣.

٦ بحار الأنوار: ٧٥/ ١٥٨/ ٩.

٧ الكافي: ٢/ ١٠٩/ ١.

٨ صحيفة الإمام الرِّضا عليه السلام: ٨٥/ ١٩٥.

٩ الأمالي للمفيد: ١٨٤/ ٦.

١٠ الدرّة الباهرة: ٢٦.

١١ بحار الأنوار: ٧٥/ ١٤١/ ٣٤.

عَـن شَيءٍ[1] قَـد عَرَفَـهُ فَفَطِـنَ لَـهُ[2].

٥٦. أرضاكُم عِندَ اللَّهِ أسبَغُكُم[3] عَلى عِيالِهِ[4].

٥٧. مِـن أخـلاقِ المُؤمِـنِ: الإنفـاقُ عَـلى قَـدرِ الإقتـارِ، وَالتَّوسُّـعُ عَـلى قَـدرِ التَّوَسُّـعِ، وإنصـافُ النّـاسِ، وَابتِـداؤُهُ إيَّاهُـم بِالسَّـلامِ عَلَيهِـم[5].

٥٨. مَـن بـاتَ شَـبعانَ وبِحَضرَتِـهِ مُؤمِـنٌ طـاوٍ، قـالَ اللَّـهُ تعـالى: مَلائكَتِـي، أُشـهِدُكُم عـلى هـذا العَبدِ إنّـي أمَرتُـهُ فَعَصانِـي وأطـاعَ غَـيرِي فَوَكَلتُهُ إلى عَمَلِـهِ، وعِزَّتِـي وجَـلالي لا غَفَـرتُ لَهُ أبـدًا[6].

٥٩. المؤمـنُ يَصمُـتُ لِيَسـلَمَ، ويَنطِـقُ لِيَغنَـمَ... إن زُكِّـيَ خـافَ مِمَّـا يَقولـونَ، ويَسـتَغفِرُ اللَّـهَ لِمـا لايَعلمـونَ، لا يَغِـرُّهُ قَـولُ مَـن جَهِلَـهُ، ويَخـافُ إحصاءَ مـا عَمِلَهُ[7].

٦٠. آدابُ العُلَماءِ زِيادَةٌ في العَقلِ[8].

٦١. إنَّ أحَبَّكُـم إلَى اللَّـه عَـزَّ وجـلَّ أحسَـنُكُم عَمَـلاً، وإنَّ أعظَمَكُـم عِندَ اللَّـهِ عَمَلًا

---

١ هكذا والظاهر أنّ الصحيح: «لا يتغافل إلّا عن شيء».

٢ كفايـة الأثـر: ص ٢٤٠، تحـف العقـول: ص ٣٥٩، نزهة الناظر: ص ١٠٠ ح ١٨، كشـف الغمـة: ج ٢ ص ٣٦٢، الـدرة الباهـرة: ص ٢٨، بحار الأنـوار: ج ٧٥ ص ١٨٨ ح ٣٣.

٣ أسبغ: أفاض وأتم (المصباح المنير: ص ٢٦٤ «سبغ»).

٤ الـكافي: ج ٤ ص ١١ ح ١، كتـاب مـن لا يحـضره الفقيـه: ج ٤ ص ٤٠٨ ح ٥٨٨٤، تنبيـه الخواطر: ج ٢ ص ٤٧، أعلام الدين: ص ٢٢٢ و فيه «أشبعكم» بدل «أسبغكم». تحف العقول: ص ٢٧٩، بحـار الأنوار: ج ١٠١ ص ٧٣ ح ٢٥.

٥ الـكافي: ج ٢ ص ٢٤١ ح ٣٦ عـن أبي حمزة، تحف العقول: ص ٢٨٢، بحار الأنوار: ج ٦٤ ص ٣٦١ ح ٦٥.

٦ المحاسن: ١/ ١٨٢/ ٢٩٠.

٧ الكافي: ٢/ ٢٣١/ ٣.

٨ تحف العقول: ٢٨٣.

أعظَمُكُـم فيما عِندَ اللَّـهِ رَغبَةً[1].

٦٢. إنَّ أقرَبَكُم مِن اللَّهِ أوسَعَكُم خُلقًا[2].

٦٣. إيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْكَذَّابِ؛ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّرَابِ يُقَرِّبُ لَكَ الْبَعِيدَ، وَيُبَعِّدُ لَكَ الْقَرِيبَ[3].

٦٤. إيّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفَاسِقِ؛ فَإِنهُ بَايِعَكَ بِأُكْلَةٍ[4]، أوْ أقَلَّ مِنْ ذَلكَ[5].

٦٥. إيّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْبَخِيلِ؛ فَإِنهُ يَخْذُلُكَ فِي مَالِه أحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ[6].

٦٦. إيّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الأَحْمَقِ؛ فَإِنهُ يُرِيدُ أنْ يَنْفَعَكَ فَيَضرُّكَ[7].

٦٧. إيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْقَاطِعِ لِرَحِمِهِ؛ فَإِنِّي وَجَدْتُهُ مَلْعُونًا فِي كِتَابِ اللَّهِ[8]

٦٨. لا تَزهَد في مُراجَعَةِ الجَهلِ، وإن كُنتَ قَد شُهِرتَ بِتَركِهِ[9].

٦٩. طَلَبُ الحَوائجِ إلى الناسِ مَذَلَّةٌ للحياةِ، ومَذهَبَةٌ للحَياءِ، واستِخفافٌ بالوَقارِ، وهُو الفَقرُ الحاضِرُ، وقلةُ طَلَبِ الحوائجِ مِنَ الناسِ هُو الغنى الحاضِرُ[10].

٧٠. ضَمِنتُ على رَبِّي أن لا يَسألَ أحَدٌ أحَدًا مِن غَيرِ حاجَةٍ إلّا اضطَرَّتْهُ حاجَةٌ بالمَسألةِ يَومًا إلى أن يَسألَ مِن حاجَةٍ[11].

---

١ الكافي: ٨/ ٦٨/ ٢٤.

٢ الكافي: ٨/ ٦٩/ ٢٤.

٣ الكافي: ج ٢ ص ٦٤١، ح ٧. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص: ١٣٧، ح ١٤.

٤ الأكلة - بضم الهمزة-: اللقمة.

٥ بحار الأنوار: ج ٧٥، ص: ١٣٧، ح ١٤.

٦ الكافي: ج ٢ ص ٦٤١، ح ٧. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص: ١٣٧، ح ١٤.

٧ الكافي: ج ٢ ص ٦٤١، ح ٧. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص: ١٣٧، ح ١٤.

٨ الكافي: ج ٢ ص ٦٤١، ح ٧. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص: ١٣٧، ح ١٤.

٩ نزهة الناظر: ص ٩٢ ح ١٧. بحارالأنوار: ج ٧٥ ص ١٦١ ح ٢١.

١٠ تحف العقول: ٢٧٩.

١١ بحار الأنوار: ٩٣/ ١٥٨/ ٣٧.

٧١. ابنَ آدَمَ، لا تَزالُ بِخَيرٍ ما كانَ لكَ واعِظٌ مِن نَفسِكَ، وما كانَتِ المُحاسَبَةُ مِن هَمِّكَ[١].

٧٢. ابنَ آدَمَ، لا تَزالُ بخَيرٍ... ما كانَ الخَوفُ لكَ شِعارًا والحُزنُ دِثارًا[٢].

٧٣. مَجالِسُ الصَّالِحينَ داعِيَةٌ إلى الصَّلاحِ[٣].

٧٤. مَن لم يَرجُ النّاسَ في شيءٍ، ورَدَّ أمرَهُ إلى اللَّهِ عزّ وجلّ في جميعِ أمورِهِ، استَجابَ اللَّهُ عزّ وجلّ لَهُ في كلِّ شيءٍ[٤].

٧٥. إنَّ اللَّهَ لَيُبغِضُ البَخيلَ السّائلَ المُلْحِفَ[٥].

٧٦. الزُّهدُ عَشرَةُ أجزاءٍ: فَأعلى دَرَجاتِ الزُّهدِ أدنى دَرَجاتِ الوَرَعِ، وأعلى دَرَجاتِ الوَرَعِ أدنى دَرَجاتِ اليَقينِ، وأعلى دَرَجاتِ اليَقينِ أدنى دَرَجاتِ الرِّضا[٦].

٧٧. مَن زَهِدَ في الدنيا هانَتْ علَيهِ مَصائبُها ولم يَكرَهْها[٧].

٧٨. المُنافِقُ يَنهى ولا يَنتَهي، ويأمُرُ بما لا يأتي، إذا قامَ في الصَّلاةِ اعتَرَضَ، وإذا رَكَعَ رَبَضَ، وإذا سَجَدَ نَقَرَ، وإذا جَلَسَ شَغَرَ، يُمسي وهَمُّهُ الطَّعامُ وهُو مُفطِرٌ، ويُصبِحُ وهَمُّهُ النَّومُ ولَم يَسهَرْ، إن حَدَّثَكَ كَذبَكَ، وإن وَعَدَكَ أخلَفَكَ، وإنِ ائتَمَنتَهُ خانَكَ، وإن خالَفتَهُ اغتابَكَ[٨]

٧٩. ثلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ مِن المؤمنينَ كانَ في كَنَفِ اللَّهِ وَأَظَلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ

---

١ الأمالي للطوسي: ١١٥/ ١٧٦.

٢ الأمالي للطوسي: ١١٥/ ١٧٦.

٣ بحار الأنوار: ٧٥/ ١٤١/ ٣٥.

٤ بحار الأنوار: ٧٢/ ١١٠/ ١٦.

٥ بحار الأنوار: ٧٥/ ١٤٠/ ٢٧.

٦ بحار الأنوار: ٧٥/ ١٣٦/ ١١.

٧ تحف العقول: ٢٨١.

٨ الأمالي للصدوق: ٥٨٢/ ٨٠٢.

الْقِيَامَـةِ فِي ظِـلِّ عَرْشِـهِ وَآمَنَـهُ مِـنْ فَـزَعِ الْيَـوْمِ الْأَكْـبَرِ: مَـن أعطـى مِـن نفسِـهِ مـا هُو سـائلُهُم لنفسِـهِ، ورجُلٌ لَم يُقَدِّمْ يَـدًا ولا رِجلًا حتَّـى يَعلَمَ أَنَّهُ في طاعَـةِ اللَّـهِ قَدَّمَهـا أو في مَعصِيَتِـهِ، ورجُـلٌ لَـم يَعِـبْ أخـاهُ بِعَيـبٍ حتّـى يَـترُكَ ذلـكَ العَيـبَ مِـن نفسِـهِ[1].

٨٠. الرِّضا بالمَكروهِ أرفَعُ دَرَجاتِ المُتّقينَ[2].

٨١. أعـلى دَرَجـةِ الزُّهـدِ أدنـى دَرَجـةِ الـوَرَعِ، وأعـلى دَرَجـةِ الـوَرَعِ أدنـى دَرَجـةِ اليَقـينِ، وأعـلى دَرَجـةِ اليَقـينِ أدنـى دَرَجـةِ الرِّضـا[3].

٨٢. إنَّ الكريمَ يَبتَهِجُ بفَضلِهِ، واللَّئيمَ يَفتَخِرُ بمُلكِهِ[4].

٨٣. مَن كَرُمَت علَيهِ نفسُهُ هانَت علَيهِ الدُّنْيَا[5].

٨٤. مَنْ قَنِعَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ فَهُوَ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ[6].

٨٥. لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ تَقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ[7].

٨٦. لَا حَسَـبَ لِقُـرَشِيٍّ وَلَا لِعَرَبِـيٍّ إِلَّا بِتَوَاضُـعٍ، وَلَا كَـرَمَ إِلَّا بِتَقْـوَى، وَلَا عَمَـلَ إِلَّا بِنِيَّـةٍ، وَلَا عِبَـادَةَ إِلَّا بِالتَّفَقُّـهِ[8].

٨٧. أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَراً مَنْ لَمْ يَرَ الدُّنْيَا خَطَراً لِنَفْسِهِ[9].

---

١ تحف العقول: ٢٨٠. بحار الأنوار: ٧٥/ ١٤٠/ ٣٢.

٢ بحار الأنوار: ٧٩/ ١٣٤/ ١٧.

٣ الكافي: ٢/ ١٢٨/ ٤.

٤ الدّرة الباهرة: ٢٧.

٥ تحف العقول: ٢٧٨.

٦ تحف العقول: ٢٧٩.

٧ تحف العقول: ٢٧٩.

٨ تحف العقول: ٢٨٠.

٩ نزهـة الناظـر: ص ٩٤، ح ٢٩. وبهـذا اللّفظ وبغيره رواه في العيون والمحاسـن: ٢/ ١٢٣ بإسـناده عن أبى عبداللّه (عليه السّـلام) عنه مسـتطرفات السّرائر: ١٦٥ ح ١٠، والدينورى

٨٨. كَمْ مِنْ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ، وَكَمْ مِنْ مَغْرُورٍ بِحُسْنِ السَّتْرِ عَلَيْهِ، وَكَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ[١].

٨٩. نَظَرُ الْمُؤْمِنِ فِي وَجْهِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ لِلْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ لَهُ عِبَادَةٌ[٢].

٩٠. مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ مِنْ عِفَّةِ بَطْنٍ وَفَرْجٍ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ[٣].

٩١. لا إِيمانَ لِمَن لا صَبرَ لَهُ[٤].

٩٢. افْعَلِ الْخَيْرَ إِلَى كُلِّ مَنْ طَلَبَهُ مِنْكَ؛ فَإِنْ كَانَ أَهْلَهُ فَقَدْ أَصَبْتَ مَوْضِعَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَهْلٍ كُنْتَ أَنْتَ أَهْلَهُ[٥].

٩٣. حَقُّ الصَّغِيرِ: رَحمَتُهُ فِي تَعلِيمِهِ، وَالعَفوُ عَنهُ، وَالسَّترُ عَلَيهِ، وَالرِّفقُ بِهِ، وَالمَعونَةُ لَهُ[٦].

٩٤. حَقُّ الْكَبِيرِ: تَوْقِيرُهُ لِسِنِّهِ، وَإِجْلَالُهُ لِتَقَدُّمِهِ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَكَ، وَتَرْكُ مُقَابَلَتِهِ عِنْدَ الْخِصَامِ، وَلَا تَسْبِقْهُ إِلَى طَرِيقٍ وَلَا تَتَقَدَّمْهُ، وَلَا تَسْتَجْهِلْهُ،

في عيون الأخبار: ٢/ ٣٣١، وابن الاثير في المختار في مناقب الأخيار: ٢٨، عنهما إحقاق الحقّ: ١٢/ ١١١. وأورده في تحف العقول: ٢٧٨، وفي نثر الدّرر (مخطوط)، عنه البحار: ٧٥/ ١٥٨ ضمن ح ١٠.

١ تحف العقول: ٢٨٠.

٢ تحف العقول: ٢٨٠.

٣ تحف العقول: ٢٨٠.

٤ الكافي: ج ٢ ص ٨٩ ح ٤، الارشاد: ج ١ ص ٢٩٧ عن الإمام علي عليه السلام ، عيون اخبار الرضا عليه السلام : ج ٢ ص ٤٤ ح ١٥٥، الخصال: ص ٣١٥ ح ٩٥ كلاهما عنأحمد بن عامر الطائي عن الإمام الرضا عن آبائه عن الإمام علي (عليهم السلام)، بحار الأنوار: ج ٦٦ ص ٣٧٦ ح ٢٧، المصنّف لعبد الرّزاق: ج ١١ ص ٤٦٩ ح ٢١٠٣١ عن عكرمة عن الإمام عليّ عليه السلام .

٥ تحف العقول: ٢٨٠.

٦ كتاب من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٦٢٥/ ٣٢١٤.

وَإِنْ جَهِلَ عَلَيْكَ احْتَمَلْتَهُ وَأَكْرَمْتَهُ لِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَ حُرْمَتِهِ[1].

٩٥. حقُّ السَّمعِ: تَنزيهُهُ عن سَماعِ الغِيبَةِ، وسَماعِ ما لا يَحِلُّ سَماعُهُ[2].

٩٦. أمّا حَقُّ جارِكَ: فحِفْظُهُ غائبًا، وإكْرامُهُ شاهِدًا، ونُصْرَتُهُ إذا كانَ مَظلومًا، ولا تَتَّبِعُ لَهُ عَورَةً، فإنْ عَلِمتَ علَيهِ سُوءًا سَتَرْتَهُ علَيهِ، وإنْ عَلِمتَ أنَّهُ يَقْبَلُ نَصيحَتَكَ نَصَحتَهُ فيما بَينَكَ وبَينَهُ، ولا تُسْلِمُهُ عِندَ شَديدةٍ، وتُقيلُ عَثْرَتَهُ، وتَغْفِرُ ذَنْبَهُ، وتُعاشِرُهُ مُعاشَرَةً كَريمَةً[3].

٩٧. إيّاكَ... أنْ تُصاحِبَ الأحمَقَ أو تُخالِطَهُ، واهْجُرْهُ ولا تُحادِثْهُ؛ فإنَّ الأحمَقَ هُجْنَةٌ غائبًا كانَ أو حاضِرًا، إنْ تَكَلَّم فضَحَهُ حُمقُهُ، وإنْ سَكَتَ قَصُر بِهِ عِيُّهُ، وإنْ عَمِلَ أفسَدَ، وإنِ اسْتُرعِيَ أضاعَ. لا عِلمُهُ مِن نَفْسِهِ يُغْنيهِ، ولا عِلمُ غَيرِهِ يَنْفَعُهُ، ولا يُطيعُ ناصِحَهُ، ولا يَستريحُ مقارِنُهُ، تَوَدُّ أُمُّهُ أنَّها ثَكَلَتْهُ، وامْرَأتُهُ أنَّها فَقَدَتْهُ، وجارُهُ بُعدَ دارِهِ، وجَليسُهُ الوَحْدةَ مِن مُجالَسَتِهِ، إنْ كانَ أصْغَرَ مَن في المَجلِسِ أعْنى مَن فَوقَهُ، وإنْ كانَ أكْبَرَهُم أفْسَدَ مَن دُونَهُ[4].

٩٨. وأمّا حَقُّ الزَّوجَةِ: فأن تَعلَمَ أنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ جَعَلَها لكَ سَكَنًا وأُنْسًا، فَتَعلَمَ أنَّ ذلكَ نِعمَةٌ مِنَ اللَّهِ علَيكَ فَتُكرِمَها وتَرفُقَ بها، وإن كانَ حَقُّكَ علَيها أوجَبَ فإنّ لَها علَيكَ أن تَرحَمَها[5].

٩٩. حَقُّ جَليسِكَ: فَأَن تُلينَ لَهُ جانِبَكَ، وتُنصِفَه في مُجازاةِ اللَّفظِ، ولا تَقومَ مِن مَجلِسِكَ إلّا بِإذنِهِ. ومَن يَجلِسُ إلَيكَ يَجوزُ لَهُ القِيامُ عَنكَ بِغَيرِ

---

١ الخصال: الشيخ الصدوق، ص ٥٧.

٢ كتاب من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٦٢٥/ ٣٢١٤.

٣ الخصال: ٥٦٩/ ١.

٤ الأمالي للطوسي: ٦١٣/ ١٢٦٨.

٥ بحار الأنوار: ٧١/ ٥/ ١.

إذنِـكَ، وتَنـسى زَلّاتِـهِ، وتَحفَـظَ خَيراتِـهِ، وَلا تُسـمِعَهُ إلَّا خَـيرًا[1].

١٠٠. حَقُّ السائلِ: إعطاؤهُ على قَدْرِ حاجَتِهِ[2].

١٠١. الذُّنـوبُ التـي تَـرُدُّ الدعـاءَ: سُـوءُ النِيَّـةِ، وخُبـثُ السَّرِيـرَةِ، والنِّفـاقُ مَعالإخـوانِ، وتَـركُ التَّصديـقِ بالإجابَـةِ، وتأخِـيرُ الصلـواتِ المَفروضـاتِ حتّـى تَذهَـبَ أوقاتُهـا، وتَـركُ التّقـرُّبِ إلى اللّـهِ عـزّ وجـلّ بالـبِرِّ والصَّدقَةِ، واسـتِعمالُ البَـذاءِ، والفُحـشُ في القَـولِ[3].

١٠٢. اللَّجاجَـةُ مَقرونَـةٌ بِالجَهالَـةِ، وَالحَمِيَّـةُ مَوصولَـةٌ بِالبَلِيَّـةِ، وسَـبَبُ الرِّفعَـةِ التَّواضُـعُ[4].

١٠٣. إذا رَأيتُـمُ الرجُـلَ قـد حَسَّـنَ سَـمتَهُ وهَديَـهُ وتَمـاوَتَ في مَنطِقِـهِ وتَخاضَـعَ في حَرَكاتِـهِ فَرُوَيـدًا لا يَغُرَّنَّكُـم، فمـا أكثَـرَ مَـن يُعجِـزُهُ تَنـاوُلُ الدنيـا ورُكـوبُ المَحـارِمِ مِنهـا، لِضَعـفِ نِيَّتِـهِ ومَهانَتِـهِ وجُبـنِ قَلبِـهِ، فَنَصَـبَ الدِّيـنَ فخًّـا لهـا، فَهُـوَ لا يَـزالُ يَختِلُ النّـاسَ بِظاهِـرِهِ، فَـإن تَمَكَّنَ مِـن حَـرامٍ اقتَحَمَـهُ![5].

١٠٤. إذا رَأَيتُـمُ الرَّجُـلَ قَـد حَسُـنَ سَـمتُهُ[6] وهَديُـهُ، وتَمـاوَتَ في مَنطِقِـهِ وتَخاضَـعَ في حَرَكاتِـهِ، فَرُوَيـداً لا يَغُرَّنَّكُـم ... حَتّـى تَنظُـروا أمَـعَ هَـواهُ يَكـونُ عَـلى عَقلِـهِ؟ أو يَكـونُ مَـعَ عَقلِـهِ عَـلى هَـواهُ؟ وكَيـفَ مَحَبَّتُـهُ لِلرِّئاسـاتِ الباطِلَـةِ وزُهـدُهُ فيهـا؟ فَـإنَّ فِي النّـاسِ مَـن خَـسِرَ الدُّنيـا

---

١ الخصال: ص ٥٦٩.

٢ . الخصال: ٥٧٠/ ١.

٣ معاني الأخبار: ٢٧١/ ٢.

٤ نزهة الناظر: ص ٩١ ح ١٤.

٥ الاحتجاج: ج ٢، ص ١٥٩، ح ١٩٢.

٦ السَّمتُ: حسن النحو في مذهب الدين (تاج العروس: ج ٣ ص ٧٣«سمت»).

وَالآخِـرَةَ، يَـترُكُ الدُّنيـا لِلدُّنيـا، ويَـرى أنَّ لَـذَّةَ الرِّئاسَـةِ الباطِلَـةِ أفضَلُ مِن لَـذَّةِ الأَمـوالِ وَالنِّعَـمِ المُباحَـةِ المُحَلَّلَـةِ، فَيَـترُكُ ذلِـكَ أجمَـعَ طَلَبًـا لِلرِّئاسَـهِ الباطِلَـةِ. حَتّـى {وَإِذَا قِيـلَ لَـهُ اتَّـقِ اللّـهَ أَخَذَتْـهُ الْعِـزَّةُ بِالإِثْـمِ فَحَسْـبُهُ جَهَنَّـمُ وَلَبِئْـسَ الْمِهَـادُ}[1]. فَهُـوَ يَخبِـطُ خَبـطَ[2] عَشـواءَ، يَقـودُهُ أوَّلُ باطِـلٍ إلى أبعَـدَ غايـاتِ الخَسـارَةِ، ويُمِـدُّهُ رَبُّـهُ بَعـدَ طَلَبِـهِ لِمـا لا يَقـدِرُ عَلَيـهِ في طُغيانِـهِ، فَهُـوَ يُحِـلُّ مـا حَـرَّمَ اللَّهُ، ويُحَـرِّمُ ما أحَـلَّ اللَّـهُ، لا يُبالي مـا فـاتَ مِن دينِـهِ إذا سَـلِمَت لَهُ رِئاسَـتُهُ الَّتي قَد شَـقِيَ مِن أجلِهـا، فَأولئِكَ الَّذيـنَ غَضِـبَ اللَّـهُ عَلَيهِـم ولَعَنَهُـم وأعَـدَّ لَهُـم عَذاباً مُهينـاً، ولكِـنَّ الرَّجُلَ كُلَّ الرَّجُـلِ، نِعـمَ الرَّجُـلُ، هُـوَ الَّـذي جَعَـلَ هَـواهُ تَبَعاًلِأَمـرِ اللَّـه[3].

١٠٥. نِعـمَ الرَّجُـلُ ... الَّـذي جَعَـلَ هَـواهُ تَبَعًـا لِأَمـرِ اللَّـهِ، وقُـواهُ مَبذولَةً في رِضَى اللَّـهِ، يَـرَى الـذُّلَّ مَـعَ الحَـقِّ أقـرَبَ إلى عِـزِّ الأَبَـدِ مِـنَ العِـزِّ في الباطِلِ ... فَذلِكُـمُ الرَّجُـلُ نِعـمَ الرَّجُـلُ، فَبِـهِ فَتَمَسَّـكوا، وبِسُـنَّتِهِ فَاقتَـدوا، وإلى رَبِّكُـم فَبِـهِ فَتَوَسَّـلوا؛ فَإِنَّـهُ لا تُـرَدُّ لَـهُ دَعـوَةٌ، ولا تُخَيَّـبُ لَـهُ طَلِبَـةٌ[4].

١٠٦. رُبَّ مَغـرورٍ مَفتـونٍ يُصبِـحُ لاهِيًـا ضاحِـكًا يَـأكُلُ ويَـشرَبُ، وهـو لا يَـدري لَعلَّـهُ قـد سَـبَقَت لَـهُ مِـنَ اللَّـهِ سَـخَطَةٌ يَصـلى بها نـارَ جَهَنَّـمَ[5].

١٠٧. تَرْكُ طَلَبِ الْحَوَائِجِ إِلَى النَّاسِ هُوَ الْغِنَى الْحَاضِرُ[6].

---

١ سورة البقرة: ٢٠٦.

٢ خَبَطَهُ خَبْطَ عَشواء: ركبه على غير بصيرة (القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٦٢ «العشا»).

٣ الاحتجاج: ج ٢ ص ١٥٩ ح ١٩٢، تنبيه الخواطر: ج ٢ ص ٩٩، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : ص ٥٣ ح ٢٧، بحار الأنوار: ج ٢ ص ٨٤ ح ١٠.

٤ الاحتجاج: ج ٢ ص ١٦٢ ح ١٩٢، بحار الأنوار: ج ٢ ص ٨٥ ح ١٠.

٥ تحف العقول: ٢٨٢.

٦ نزهة الناظر: ص ٩٠، ح ١٠.

١٠٨. كُـفَّ الأَذَى، وَفُـضَ[١] النَّـدَى، وَاسْـتَعِنْ عَـلَى السَّـلاَمَةِ بِالسُّـكُوتِ، فَـإِنَّ لِلْقَـوْلِ حَـالاتٍ تَـضُرُّهُ[٢].

١٠٩. احْذَرِ الْأَحْمَقَ وَإِنْ كَانَ صَدِيقاً، كَمَا تَحْتَذِرُ الْعَاقِلَ إِذَا كَانَ عَدُوّاً[٣].

١١٠. إِيَّـاكَ وَمُعَـادَاةَ الرِّجَـالِ، فَإِنَّـكَ لَـنْ تَعْـدَمَ مَكْـرَ حَكِيـمٍ أَوْ مُفَاجَـأَةَ لَئِيـمٍ[٤].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

---

١ فضّ الماء وافتضه: أى صبّه. وفضّ الماء: اذا سال والنّدى: السّخاء و الكرم. ولعلّه فضّ من فرّق، و النّدى المجالسة (لسان العرب: ٧/ ٢٠٦ و ج ١٥/ ٣١٥- ٣١٦).

٢ نزهة الناظر: ص ٩١، ح ١٥.

٣ نزهة الناظر: ص ٩١، ح ١٥.

٤ نزهة الناظر: ص ٩١، ح ١٥.

المصادر والمراجع

خير ما نبتدِئ به: القرآن الكريم.

(أ)

الآبي: أبو سعد منصور بن الحسين الرازي (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)، نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

الإربلي: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣ هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار المرتضى، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م. وطبعة دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى (ت ٤٣٠هـ - ١٠٣٨م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق سامي أبو جاهين، دار الحديث، القاهرة ـ مصر، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ/ ٩٧٦م)، الأغاني، دار صادر، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

الأنديمشكي: محمد الصالحي، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ، منشورات ذوي القربى، قم، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ.ش.

ابن أبي جمهور الأحسائي: محمد بن علي بن إبراهيم بن حسن بن إبراهيم (ت٩٠٩ هـ)، عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

ابن أبي الحديد: عبدالحميد بن هبة الله بن محمد (ت ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، طبع عام ١٩٦٢م.

ابـن الأثـير: أبـو الحسـن علي بن أبـي الكـرم محمد بن محمـد بن عبـد الكريم بـن عبد الواحد الشـيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريـخ، راجعه وصححه: محمـد يوسـف الرقـاق، دار الكتـب العلميـة، بيروت ـ لبنـان، الطبعـة الرابعة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

ابـن الجـوزي: أبـو الفـرج عبدالرحمن بن علي بـن محمـد (ت ٥٩٧ هـ)، صفة الصفـوة، تحقيـق د. عبدالحميـد هنـداوي، المكتبـة العصرية، بـيروت – لبنان، طبع عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

ابـن الجـوزي: أبو الفـرج عبدالرحمن بن علي بن محمـد (ت ٥٩٧ هـ)، المنتظم في تاريـخ الأمـم والملـوك، دار الكتـب العلميـة، بـيروت - لبنـان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

ابـن حجـر الهيتمـي: أبو العبـاس أحمد بن محمـد بن محمد بن عـلي بن حجر الأنصـاري المكـي (ت ٩٧٤ هـ)، الصواعـق المحرقـة في الـرد عـلى أهـل البدع والزندقـة، اعتنـى بـه وراجعه كمال مرعـي ومحمد إبراهيـم، المكتبة العصرية، بـيروت ـ لبنـان، الطبعـة الأولى ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤م.

ابـن حمـدون: محمـد بـن الحسـن بـن محمد بـن عـلي (ت ٥٦٢هـ)، التذكرة الحمدونيـة، دار صـادر للطباعـة والنـشر، بـيروت، الطبعـة الأولى ١٩٩٦م.

ابن سـعد: أبو عبدالله محمد بن سـعد بن منيع البصري البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، الطبقـات الكـبرى، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، الطبعـة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م. وطبعـة دار صـادر، بـيروت.

ابن شـعبة الحراني: أبو محمد الحسـن بن علي بن الحسـين، تحف العقول عن آل الرسـول، مؤسسـة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الخامسـة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م. وطبعة مؤسسـة النشر الإسـلامي، قم، الطبعـة الثانية ١٤٠٤هـ.

ابن شهر آشوب: أبو جعفر محمد بن علي السروي المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق وفهرسة يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبدالله بن عبد المجيد بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

ابن طاووس: أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد (ت ٦٦٤هـ)، الملهوف على قتلى الطفوف، دار المحجة البيضاء، بيروت – لبنان. د.ت. وطبعة مهر، قم، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

ابن طاووس: أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد (ت ٦٦٤هـ)، ابن طاووس، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد (ت ٦٦٤هـ)، إقبال الأعمال، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م. وطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

ابن طلحة: كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ)، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، المطبعة الحيدرية، النجف ـ العراق، طبع عام ١٣٧١هـ.

ابن عساكر الدمشقي: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ١١٧٦م)، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، طبع عام ١٤١٥هـ.

ابن كثير الدمشقي: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء (ت ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، اعتنى به: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، طبع عام ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م. وطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣ م.

ابـن منظـور: أبـو الفضل محمـد بن مكرم م بـن علي (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسـان العـرب، دار صادر، بـيروت - لبنان، الطبعـة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(ب)

البحرانـي: أبـو المكارم هاشـم بن سـليمان بـن إسـماعيل الحسـيني الكَتْكاني التوبلانـي (ت ١١٠٧هـ أو ١١٠٩هـ)، البرهان في تفسـير القـرآن، دار إحياء الـتراث العربـي، بـيروت – لبنـان، الطبعـة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

البرقـي: أبـو جعفر أحمد بن عبدالله بن أحمد بـن محمد بن خالد (ت ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م)، المحاسـن، تحقيق السـيد مهـدي الرجائي، المجمع العالمـي لأهل البيت، قـم- إيـران، الطبعة الثانيـة ١٤١٦هـ.

البغـدادي: محمـد بـن محمـد الحسـيني، عيـون الأخبـار في مناقـب الأخيـار، تحقيـق: محمـد هـادي خالقـي، دار الحديـث، قـم، الطبعـة الأولى ١٣٨٠هـ. ش.

(ت)

التميمـي الآمـدي: عبد الواحد بن محمد (ت ٥١٠هـ)، غـرر الحكم ودرر الكلم، مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعات، بيروت، الطبعـة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(ج)

الجـزري: أبو السـعادات المبارك بـن محمد بن محمد بن محمـد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمـد الـزاوي - محمود محمـد الطناحي، المكتبـة العلمية - بـيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(ح)

الحـر العامـلي: أبو جعفـر محمد بن الحسـن بن عـلي (ت ١١٠٤هـ)، تفصيل

وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

الحسني: هاشم معروف (ت ١٩٨٣م)، سيرة الأئمة الاثني عشر، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف – العراق، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ. وطبعة دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

الحسيني: محسن، موسوعة الإمام زين العابدين عليه السلام ، دار المحجة البيضاء، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

الحلواني: الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، مدرسة الإمام المهدي، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

(خ)

الخزاز القمي: أبو القاسم علي بن محمد بن علي (ت ٤٠٠ هـ)، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، الناشر: انتشارات بيدار، قم، طبع عام ١٤٠١هـ.

(د)

الديلمي: الحسن بن محمد (ت ٨٤١ هـ)، أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق ونشر: مؤسسة ال البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(ذ)

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)، سير أعلام النبلاء، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م. وطبعة مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، طبع عام ١٤٠٦هـ.

(ر)

الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ)، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

الراوندي: قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣ هـ)، قصص الأنبياء، تحقيق: غلام رضا عرفانيان اليزدي، الناشر: مجمع البحوث الاسلامية، الطبعة الأولى.

الراوندي: أبو الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣ هـ)، مكارم أخلاق النبي والأئمة، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، كربلاء - العراق، طبع عام ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

الراوندي: قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ)، سلوة الحزين وتحفة العليل، الشهير بـ «دَعَوات الراوندي»، تحقيق: عبدالحليم عوض الحلّي، الناشر: دليلنا ـ قم، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ.

(ز)

زين العابدين: الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) (ت ٩٥هـ)، الصحيفة السجادية الكاملة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(ش)

الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم (ت ٤٠٦ هـ - ١٠١٥م)، نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، شرح الشيخ: محمد عبده، دار البلاغة، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م. وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، طبع عام ٢٠١٣م.

الشعيري السبزواري: محمد، جامع الأخبار: معارج اليقين في أصول الدين،

مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

(ص)

الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، معاني الأخبار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، طبع عام ١٣٧٩هـ.

الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، من لا يحضره الفقيه، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، الأمالي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م. وطبعة مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، عيون أخبار الرضا عليه السلام ، منشورات المكتبة الحيدرية، قم ـ إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.

الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، الخصال، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، علل الشرائع، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، ثواب الأعمال، دار الشريف الرضي للنشر، قم، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ.

(ط)

الطبرسي: الميرزا حسين بن محمد تقي بن علي محمّد بن تقي النوري (ت ١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، دار الهداية، بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

الطبرسي: أبو الفضل علي بن الحسن بن الفضل بن الحسن بن الفضل (ت ٦١٠ هـ)، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تحقيق: مهدي هوشمند، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٨٨ هـ)، الاحتجاج، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري والشيخ محمد هادي به، منشورات أسوة، طهران ـ إيران، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ.

الطبرسي: أبو نصر الحسن بن الفضل بن الحسن، مكارم الأخلاق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة السادسة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م. وطبعة دار الوفاق للطباعة والنشر والترجمة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

الطريحي: فخر الدين بن محمّد علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن طريح بن خفاجه بن يعقوب (ت ١٠٨٥هـ)، معجم مجمع البحرين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ)، الأمالي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

(ع)

العاملي: زين الدين بن علي الجبعي (الشهيد الثاني)، (ت ٩٦٥هـ)، منية المريد في أدب المفيد والمستفيد، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

العياشي السمرقندي: أبو النضر محمد بن مسعود، تفسير العياشي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

(ف)

الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ/ ١٤١٥م)، معجم القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

الفيض الكاشاني: محمد بن مرتضى (ت ١٠٩١هـ)، كتاب الوافي، تحقيق: السيد علي عبد المحسن بحر العلوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

الفيومي الحموي: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (المتوفى نحو ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الثانية. د.ت.

(ق)

القاضي المغربي: أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي (ت ٣٦٣ هـ)، شرح الأخبار، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

القرشي: باقر بن شريف بن مهدي بن ناصر (ت ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م)، موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين عليه السلام ، تحقيق: الشيخ مهدي باقر القرشي، دار المعروف، قم- إيران، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩ م.

القمي الكوفي: علي بن إبراهيم (ت ٣٢٩ هـ)، تفسير القمي، صححه وعلّق عليه: السيد طيب الموسوي الجزائري، دار السرور، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(ك)

الكراجكي، أبو الفتح محمّد بن علي بن عثمان (ت ٤٤٩ هـ)، كنز الفوائد، حققه وعلّق عليه: عبد الله نعمة، دار الأضواء، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

الكراجكي: أبو الفتح محمّد بن علي بن عثمان (ت ٤٤٩ هـ)، معدن الجواهر ورياضة الخواطر، تحقيق: السيد حسين الموسوي البروجردي، منشورات مكتبة العلامة المجلسي، قم، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

الكليني: محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ)، الكافي، ضبطه وصححه وعلَّق عليه: الشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، طبع عام ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م. وطبعة دار الحديث العلمية والثقافية، قم، الإعداد والتحقيق: محمد حسين الدرايتي، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ.

(ل)

الليثي الواسطي: أبو الحسن علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسني البيرجندي، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ.ش.

(م)

المالكي الأشتري الحلي: ورَّام بن أبي فراس ورَّام بن حمدان (ت ٦٠٥هـ)، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام)، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء – العراق، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م. وطبعة دار الكتب الإسلامية، قم، الطبعة الثانية ١٣٦٨ هـ. ش.

المتقي الهندي: علاء الدين علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧م)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، طبع عام ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، غير مذكور عدد الطبعة.\

المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١م)، بحار الأنوار، مؤسسة أهل البيت، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١م)، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.

المزي: جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

المشغري العاملي: جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشامي (ت ٦٦٤ هـ)، الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د.ت.

المفيد: أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، غير مذكور تاريخ الطبعة. وطبعة دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لتحقيق التراث، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

المفيد: أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ)، الاختصاص، تحقيق علي أكبر غفاري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

المفيد: أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ)، الأمالي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، د.ت.

المقرم: عبد الرزاق الموسوي (ت ١٣٩١هـ)، حياة الإمام زين العابدين عليه السلام ، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء – العراق، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(ن)

النيسابوري: محمد بن الفتال (ت ٥٠٨ هـ)، روضة الواعظين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

المحتوى

من دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ ٥
المقدمة ٦
أخلاقياته عليه السلام في التعامل مع المسيئين له ١٠
الحلم من صفات الأنبياء والأئمة ١١
تعريف الحلم ١١
التغافل أعظم أنواع الحلم ١٢
صور مشرقة من حلمه وتغافله ١٣
أولًا- وعنك أغضي ١٤
ثانيًا- مَا سُترَ عَنْكَ مِنْ أَمْرِنَا أَكْثَرُ ٥١
ثالثًا- انْتَزَعَ رِدَاءَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ٦١
رابعًا-لَا أُبَالِي بِمَا تَقُولُ ٧١
خامسًا- اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ ١٧
سادسًا- كَسَرَتْ قَصْعَةً فأعتقها لِوَجْهِ اللَّهِ ١٨
درس من سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام ١٩
أخلاقياته عليه السلام أمام الخطوب والمحن ٢١
معنى الصبر ٢٥
أخلاق الإمام زين العابدين عليه السلام في مواجهة المحن ٢٥
أولًا- الصبر الجميل ٢٦
ثانيًا- الشجاعة والإباء ٢٨
ثالثًا- رباطة الجأش ٣١
أخلاقياته عليه السلام في العمل التطوعي ٣٣

أخلاق التطوع عند الإمام زين العابدين عليه السلام ٣٣
اولا : احترام كرامة الفقير ٣٤
ثانيا : التواضع ٣٥
ثالثا : الرحمة ٣٦
رابعا : الإخلاص في العمل ٣٧
خامسا : المبادرة إلى فعل الخير ٤٠
سادسا : الصبر والتحمل ٤٢
أخلاقياته عليه السلام مع العلماء والمتعلمين ٤٤
أخلاقيات الإمام زين العابدين عليه السلام العلمية ٤٥
أولًا- تمجيد العلم ٤٦
ثانيًا- توقير المعلم والرفق بالمتعلم ٤٧
ثالثًا- إكرام العالم واحترامه ٥٠
رابعًا- التحذير من علماء السوء ٥١
الزهري أنموذجًا ٥٤
علاقة الزهري بالإمام زين العابدين ٥٦
اولا : إسماعه المواعظ والعبر ٥٦
ثانيا : التوجيه الخاص ٥٧
ثالثا : التصغير والتهوين ٥٨
رابعا : التكذيب لتملقاته ٥٨
رسالة الإمام زين العابدين للزهري ٥٩
وخلاصة الكلام ٦٦
أخلاقياته عليه السلام مع العبيد ٦٧

الإمام زين العابدين عليه السلام والموالي ٦٧
التعامل الإنساني للإمام زين العابدين عليه السلام مع العبيد ٧٠
أخلاقياته عليه السلام مع أعدائه ٨٠
قصص عن رأفته بأعدائه ٨١
ثانيا : أبوك الذي قتل المؤمنين! ٨٤
ثالثا : لا يتعرَّضنَّ له أحد منكم! ٨٦
يحمي عائلة ألد أعدائه في داره! ٨٨
دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق ٩٠
الخاتمة ٩٦
قصار الحِكَم الأخلاقية للإمام زين العابدين عليه السلام ٩٦
المصادر والمراجع ١١٢